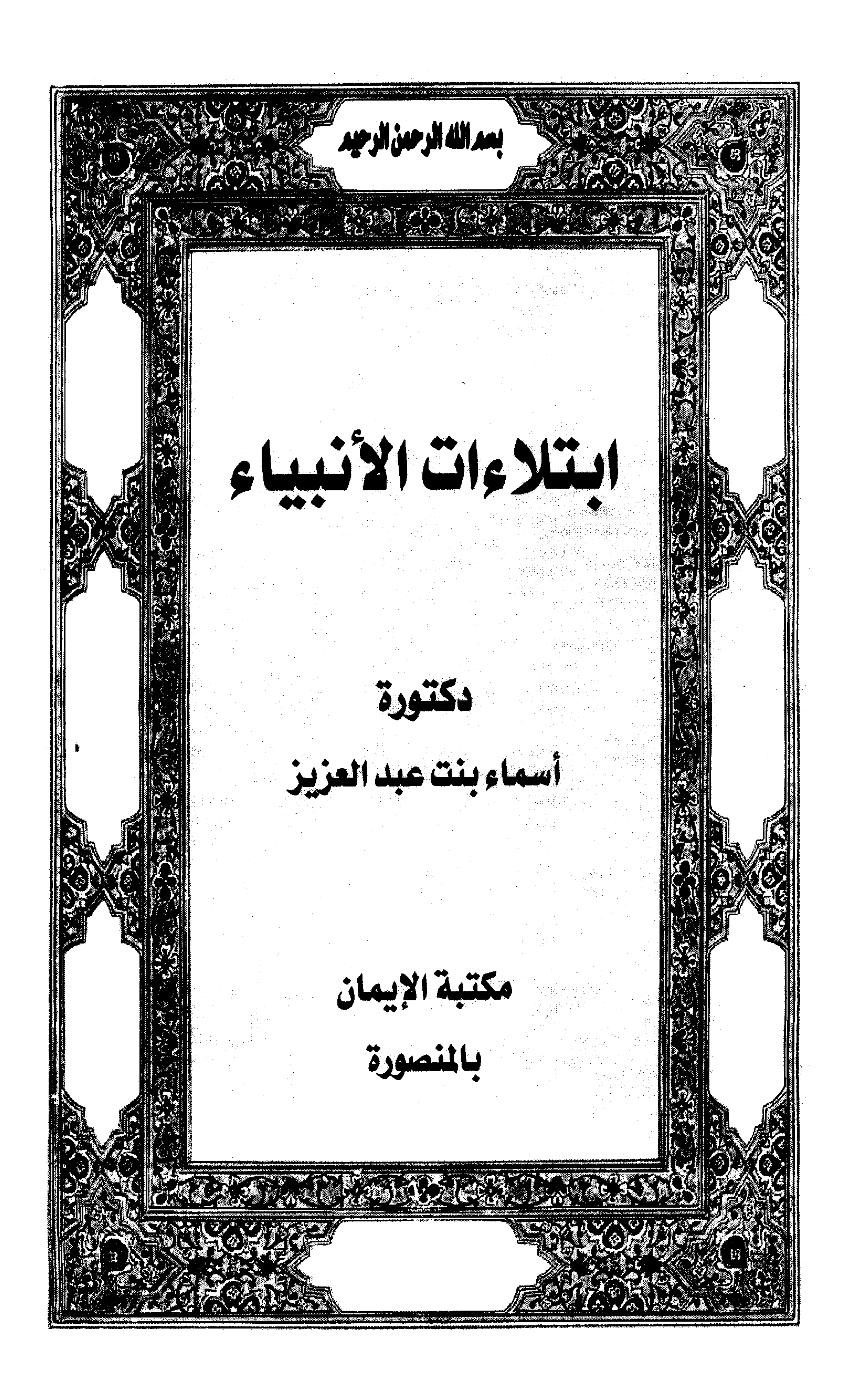
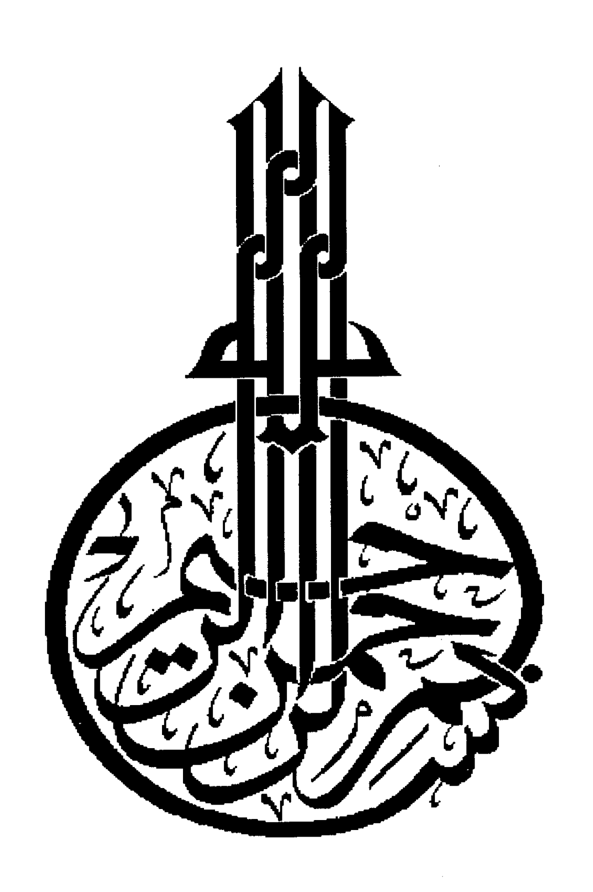


ابتلاءات الأنبياء

دكتورة
أسماء بنت عبد العزيز

مكتبة الإيمان
بالمنصورة



المقدمـة

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً ، وضرب لهم آجالا ، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل خلقهم ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته لا مشيئة العباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن .

يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله ، وهو متعال عن الأضداد والأنداد.

لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده .

وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسوله المرتضى ، وأنه خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، صلى الله وسلم عليه أفضل صلاةٍ وأحسن تسليم .

وكل دعوى النبوة بعده غيٌّ وهوى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى ، بالحق والهدى والنور والضياء .

فهو القائل ﷺ : **اتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نجياً واتخذني حبيباً.**

قال تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيٌّ (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة).

وأن القرآن كلام الله ، ليس كمثله قول ، وأنزله إلى رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام بشر فقد كفر .

أما بعد ..

فسوف أتناول في هذا الكتاب بعون من الله وتوفيقه مقتطفات من حياة الأنبياء متضمنة ابتلاءاتهم ومعجزاتهم ، فقد بعث الله ﷻ كل نبي من الأنبياء بمعجزة خرقت النواميس ـ القوانين ـ فإبراهيم عليه السلام لما أراد قومه أن يلقوه في

النار لم تحرقه ، ولم ينزل الله ﷻ عليها مطرا فيطفئها أو ريحا فتفنيها ولكنه ﷻ قال : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ٦٩] .

وكان الغالب في زمان موسى عليه السلام **السحر والسحرة** فأيده الله ﷻ بمعجزتي العصا واليد .

وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمن **بلغ فيه الطب مبلغه** ، فأيده الله ﷻ بإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص .

وكذلك فقد أيد الله ﷻ محمداً ﷺ **بالقرآن** ، فكان معجزة وبرهاناً ومنهاجاً ، ليتحدى به العرب في الفصاحة والبلاغة .

وكما أن لكل نبي معجزة ومنهجاً ـ فموسى عليه السلام معجزته اليد والعصا ومنهجه التوراة ، وعيسى عليه السلام معجزته إحياء الموتى ومداواة الأكمه والأبرص ومنهجه الإنجيل ـ إلا أن محمداً ﷺ منهجه هو معجزته ، ألا وهو الفرقان ليحمي **المنهج المعجزة فتبقى أبد الدهر**. كما قال تعالى في محكم آياته : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ٩]

وأختم قولي بأن الله ﷻ فعال لما يريد ، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

قال المصطفى ﷺ : **أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل** (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أخت حذيفة) .

وأخيرا وليس بآخر أرجو من الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بما فيه ، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ... آمين . والحمد لله رب العالمين .

دكتورة
أسماء بنت عبد العزيز

آدم عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾
[سورة الحجر الآيات: ٢٨-٣١] .

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾
[سورة طه الآيات: ١٢٠-١٢٢]

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة المائدة الآيات:٢٧-٢٨]

* * *

الابتلاء بخلق آدم وكسب عداوة إبليس :

عن النبي ﷺ أنه قال: **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك** (رواه الإمام أحمد عن يحيى ومحمد ابن جعفر) .

خلق الله ﷻ آدم بيده لئلا يتكبر عليه إبليس فخلقه بشراً . فمرت به الملائكة وهو لا يزال طينا قبل أن تنفخ فيه الروح ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه بقدمه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار فيكون له

صلصلة فلذلك قوله ﷻ أنه خلق ﴿ مِن صَلْصَٰلٖ كَٱلْفَخَّارِ ﴾[سورة الرحمن الآية: ١٤]

ثم يقول له إبليس :

ـ لأمر ما خلقت

ثم دخل من فيه وخرج من دبره .

فقال إبليس للملائكة :

ـ لا ترهبوا هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنه .

وكان كلما مر به يقول :

ـ لقد خلقت لأمر عظيم .

وقد قال إمام الأتقياء ﷺ : **لما خلق الله آدم تركـه مـا شـاء أن يدعـه فجعـل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خَلْقٌ لا يتمالك.** (رواه الإمام أحمد عن عبد الصمد عن حماد عن ثابت عن أنس).

فلما بلغ الحين الذي يريد الله ﷻ أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة :

ـ إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له .

فلما نفخ فيه الروح دخل الروح إلى الرأس فعطس ، فقالت الملائكة :

ـ قل: الحمد لله .

فقال :

ـ الحمد لله .

فقال الله له :

ـ رحمك ربك .

فسجدوا جميعا له إلا إبليس أبى .

وقال عمر بن عبد العزيز : **لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم إسرافيل فآتاه الله أن كتب القرآن في جبهته** . (رواه ابن عساكر) .

وقد شرف الله ﷻ آدم عليه السلام بخمس تشريفات :

١ـ خلقه الله ﷻ بيده الكريمة ـ لفظ اليد هنا مجازية فالله ﷻ منزه عن الشكل ـ .

٢ـ نفخ فيه من روحه .

٣ـ أمر الملائكة بالسجود له .

٤ـ علمه أسماء الأشياء كلها .

٥ـ جعله خليفة له في أرضه.

عندما خلق الله ﷻ آدم عليه السلام ، قالت الملائكة :

ـ لا يخلق الله خلقا إلا كنا أعلم منه. .

فأراد الله أن يبتليهم فعلم آدم أسماء كل شيء وهي الأسماء التي يتعارف بها الناس (إنسان ، دابة ، أرض ، سهل ، بحر ، جبل ...) وأسماء الأمم والطيور والدواب ، كما علمه ﷻ أسماء الملائكة ثم سألهم ﷻ عن هذه المسميات فقالوا: ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٣٢] .

فأمر آدم عليه السلام أن يخبرهم بأسمائهم فأخبرهم بها ، فأجابهم الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣٣] .وذلك أنه ﷻ علم قولهم :

ـ لن يخلق الله خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه.

ابتلاؤه عليه السلام في ذريته :

عن النبي ﷺ أنه قال : « **خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : « إلى الجنة ولا أبالي » ، وقال للذي في كتفه اليسرى : « إلى النار ولا أبالي »** . (رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء).

وعن الحسن رضي الله عنه قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « **عرض على آدم ذريته فجعل يرى فيهم القصير والطويل وبين ذلك ، فقال آدم : « رب لو كنت سويت بين عبيدك » ، فقال له ربه : « يا آدم أردت أن أُشْكَرْ »** . (رواه ابن جرير).

* * *

عندما أُسكن آدم الجنة كان يمشي فيها بمفرده ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ فوجد عند رأسه امرأة جالسة ، خلقها الله ﷻ من ضلعه ، فسألها :

ـ من أنت؟

قالت :

ـ امرأة .

قال :

ـ ولم خُلقت؟

قالت :

ـ لتسكن إلي .

فقالت له الملائكة ـ لينظروا مبلغ علمه ـ :

ـ ما اسمها يا آدم ؟

قال :

ـ حواء .

قالوا :

ـ ولم كانت حواء ؟

قال :

ـ لأنها خلقت من شيء حي .

وقيل:

ـ إنها خلقت من ضلعه الأيسر الأقصر وهو نائم ، ولأم مكانه لحما .

وعنه ﷺ أنه قال : **استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإذا ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا.** (روي في الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة).

ابتلاؤه عليه السلام بالشجرة المحرمة :

أوحى الله ﷻ إلى آدم عليه السلام أن اسكن أنت وزوجك الجنة وتمتعا بكل ما فيها ولكن ﴿ **لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ** ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٩] .

قيل عنها: إنها شجرة الكرم، وقيل عنها: إنها شجرة النخلة ، وقيل: إنها شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي في الجنة حدث .

ولكن الشيطان الذي حمل على عاتقه إغواء آدم وذريته وسوس في صدر كل من آدم وحواء ليأكلا من الشجرة المحرمة قائلا :

ـ إنما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لأنه من أكل منها أصبح ملكا مخلدا.

وما زال الشيطان بهما يذلل لهما الصعاب ويحبب إليهما الأكل من هذه

الشجرة ، حتى أكلا منها فأخرجهما مما كانا فيه من نعيم ونضرة وسرور إلى دار الكد والتعب والشقاء .

وكانت حواء هي التي أكلت من الشجرة قبل آدم عليه السلام ، وهي التي حثته على الأكل منها ، والله أعلم .

وعنه ﷺ أنه قال : **لولا بنو إسرائيل لم يخنز - ينتن - لحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها** . (رواه البخاري عن بشر بن محمد بن عبد الله بن أبي هريرة).

وعندما أكلا من الشجرة بدت سواتهما فأخذا يقطفان ورق الجنة - شجر التين - ليواريا عوراتيهما .

وأوحى الله عز وجل :

- أن يا آدم ألم أنهك عن الأكل من هذه الشجرة ؟

فقال آدم عليه السلام :

- يا رب إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، فقد حلف لنا أن فيها لنا خيرًا .

فأوحى إليه رب العزة :

- أخرج أنت وزوجك من الجنة ، واتخذا الشيطان لكما عدواً.

* * *

قال خاتم الأنبياء ﷺ : **إن الله خلق آدم رجلا طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق - عالية - فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد - يجري - في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الله عز وجل : يا آدم منى تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : يا رب لا ، ولكن استحياء** . (رواه ابن أبي حاتم مرسلا عن أبيّ بن كعب).

قال نبي الرحمة ﷺ : **لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي ، فقال الله عز وجل : فكيف عرفت محمداً - وهو عز وجل أعلم - ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لاإلَه إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليَّ ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك** . (رواه الحاكم والبيهقي وابن عساكر مرسلا عن عمر بن الخطاب).

روى الحاكم في مستدركه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣٧] قال : قال آدم : يا رب ألم تخلقني بيديك ؟ قيل لـه : بلـى . ونفخـت فيَّ مـن روحـك ؟ قيـل لـه : بلـى ، وعطست فقلـت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتـك غضبـك ؟ قيـل لـه : بلـى ، وكتبت عليَّ أن أعمل هذا ـ يقصد الأكل من الشجرة المحرمة ـ قيل لـه : بلـى ، قال : أفرأيت إن تبت ، هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

عندما طرد الله ﷻ آدم عليه السلام من الجنة لقنه كلمات يـدعو بهـا لقولـه ﷻ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣٧].

وهذه الكلمات هي : اللهم لاإلَـه إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنـي ظلمـت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين ، اللهم لاإلَـه إلا أنت سـبحانك وبحمـدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر ني إنك خـير الـراحمين ، اللـهم لاإلَـه إلا أنـت سـبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم .

عن النبي ﷺ أنه قال : « **قال موسى عليه السلام : يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه آدم عليه السلام ، فقال : أأنت آدم ؟ فقال له آدم : نعـم ، فقـال : أنـت الذي نفخ الله فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسمـاء كلـها ؟ قال : نعم ، فقال : فما حملك عن أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال لـه آدم : من أنت ؟ فقال : أنا موسى ، قال : أنت موسى نبي بني إسرائيل ؟ أنـت الـذي كلمك الله من وراء حجاب ، فلم يجعـل بينـك وبينـه رسـولا ـ أي وحيـا ـ مـن خلقه ؟ قال : نعم ، قال : أتلومني على أمر قد سبق من الله ﷻ القضاء به قبل؟** » **قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى.**

ويروى أن آدم عليه السلام أوصى بنيه بوصايا فقال :

ـ إذا أردتم فعل شيء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإنى لمـا دنـوت مـن أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل منها ، وإذا أردتم فعل شـيء فـانظروا

فى عاقبته فإنى لو نظرت فى عاقبة الأكل ما أكلت من الشـجرة ، وإذا أردتم فعل شيء فاستشيروا الأخيار ، فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا عليَّ بترك الأكل من الشجرة.

أمـر الله ﷻ آدم عليه السلام بـالنزول إلى الأرض ،وكـان أول طعـام لـه في الأرض أن جاءه جبريل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فقال :

- ما هذا ؟

قال جبريل عليه السلام :

- هذا من الشجرة التي نهيت عنها فأكلت منها .

فقال آدم عليه السلام :

- وما أصنع بهذا ؟

قال جبريل عليه السلام :

- ابذره في الأرض .

فبذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف فنبت فحصده ، ثم درسه ثـم ذراه ، ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ، فأكله بعد جهد عظيم وتعبٍ وكد وذلك قولـه تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[سورة طه الآية : ١١٧] وكانت أول كسوة له من شعر الضأن جزه ثم غزله فنسج آدم له جبه ، ولحواء درعاً وخماراً .

ابتلاؤه عليه السلام باقتتال ولديه :

كان يولد لآدم عليه السلام في كل بطن ذكر وأنثى ، وكان يزوج كل ذكر مـن بطـن الأنثى الأخرى ، ولم يكن تحل أخت لأخيها الـذي ولـد معهـا ، فولـد لـه عليه السلام قابيل مع أخت له في بطن ، وهابيل مع أختٍ في بطن أخري .

وأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل ، وكان قابيل أكبر مـن هابيـل ، وأخـت قابيل أجمل ، فأراد قابيل أن يستأثر بها عـن أخيـه ، وأمـره آدم عليه السلام أن يزوجـه إياها فأبى ، فأمرهما أن يقربا قرباناً ، وذهب آدم عليه السلام ليحج إلى مكة .

فلما ذهب عليه السلام قربا قربانيهما ، فقرب هابيل جذعة ـ شاة ـ سمينة وقد كان صاحب غنم ، وقرب قابيل حزمة من زرع سيىء من رديء زرعه فنزلت النـار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل فغضب وقال :

ـ لأقتلنك حتى لا تنكح أختي .

وقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال :

ـ وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده .

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي فبعث آدم عليه السلام أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به فلما ذهب إليه قال :

ـ تقبل منك ولم يتقبل مني .

فقال له هابيل :

ـ إنما يتقبل الله من المتقين .

فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله ، وقيل : إنما قتله بصخرة رماها على رأسه فشدخته وهو نائم ، وقيل : خنقه خنقا شديدا وعضه كما تفعل السباع فمات والله أعلم .

وقد ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة ، وقال آخرون : حمله مائة سنة . ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين أخوين فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر، فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ، ودفنه وواراه . فلما رآه يصنع ذلك : ﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٣١] .

ففعل قابيل مثل ما فعل الغراب فوارى هابيل ، ودفنه .

وعندما علم آدم عليه السلام بمقتل ابنه هابيل حزن حزناً شديداً على كلا ولديه فأحدهما قاتل والآخر مقتول .

ثم قال في ذلك شعرا:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

* * *

لما احتضر آدم عليه السلام اشتهي قطفا من عنب الجنة ، فانطلق بنوه ليطلبوه له ، فلقيتهم الملائكة فقالوا لهم :

ـ أين تريدون يا بني آدم ؟

فقالوا :

ـ إن أبانا اشتهى قطفا من عنب الجنة .

فقالت لهم الملائكة :

ـ ارجعوا فقد كفيتموه .

فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه الملائكة ودفنوه ثم قالوا :

ـ هذه سنتكم في موتاكم.

* * *

نوح عليه السلام

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الأعراف الآيات : ٥٩-٦٠] .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾
[سورة هود الآيات: ٤٢-٤٣]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم الآية : ١٠].

* * *

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلابيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام .

وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة .

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلها على الإسلام ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل الزمان إلى عبادة الأوثان .

وقد كان سبب ذلك أنه كان هناك رجال صالحون من قوم نوح عليه السلام هم: ود، سواع ، يغوث ، يعوق ، نسرا . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ـ أوثاناً ـ وسموهم بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد في عهدهم ، حتى إذا هلكوا جاء أبناؤهم وقالوا:

ـ ما كان آباؤنا يفعلون بهذه الأصنام ؟

فـأوحى إلـيهم الشـيطان أنهـم كـانوا يعبـدونها ويستسـقون بهـا فتسـقيهم ويستشفون بها فتشفيهم .

وبذلك عبدت الأصنام من دون الله الواحد القهار.

ثم صارت هذه الأصنام التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ذلك.

وعندما انتشر الفساد في الأرض وعم البلاد لعبادة الأصنام فيها بعث الله ﷻ نوحاً ﷺ ليدعو على عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان ﷺ أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .

فلما بعث الله نوحاً ﷺ دعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده لا شريك له ، وألا يُعْبَدَ معه صنم ولا تمثال ولا طاغوت ، وأن يعترفوا بوحدانيته ﷻ ، وأنه لاإلَـه غيره ولا رب سواه .

وقد سلك نوح ﷺ في دعوته مبدأي الترغيب والترهيب ، فبدأ بترغيبهم في عبادة الله ﷻ الذي يغفر ذنوبهم ، ويرسل المطر من السماء ليسقي به الأرض ، وينبت به الزرع ويمدهم بالمال والولد ، وجعل السماء فوقهم طبقات يزينها القمر ليلا ، وتنيرها الشمس نهاراً .

لكن كل ذلك لم ينجح فيهم بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان ، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان ، وأهانوه هو ومن آمن معه وتوعدوهم بالرجم والإخراج من القرية ، ونالوا منهم وبالغوا في تشددهم وتعنتهم .

فبدأ عليه السلام مرحلة الترهيب معهم قائلا :

ـ لإن لم تؤمنوا بالله ، وَتَدْعُوا ما أنتم عليه فانتظروا وعد الله الذي لا يخلف الميعاد .

ولكن ذلك لم يُجْدِ معهم ، ولم تَجد دعوته طريقا إليهم بل وجدت آذانا صما وقلوبا غلفا ، وأعينا عميا . بل وأكثر من ذلك ، فقد تنقص الكفار بشأن من اتبع نوح ﷺ ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [سورة الشعراء الآية: ١١١] حيث أنهم اعتبروهم من أفناد الناس وضعفائهم .

فطلبوا منه ﷺ أن يبعد هؤلاء عنه ، ووعدوه أن يؤمنوا له ويتبعوه ، ولكنهم في

قولهم هذا كاذبون إنما أرادوا أن يفرقوا المؤمنين من حوله حتى يثبتوا لهم أن نوحاً عليه السلام إنما يدعو إلى دين ليس له قواعد أو أصول ، وهو بذلك إنما يطلب السيادة وليس الإيمان.

فأبى نوح عليه السلام ذلك قائلا لهم : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة هود الآية : ٢٩] وقد كانت سجايا قوم نوح تأبى الإيمان واتباع الحق ، وتطاول عليهم الزمان وأكثروا الجدال فيما لا ينفع حيث أن نوحاً عليه السلام ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [سورة العنكبوت الآية: ١٤] . بل امتد جدالهم إلى أن طلبوا من نوح عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب الذي يتوعدهم به .

فقال لهم نوح عليه السلام :

- إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه لا يعجزه شيء ، ولا يكترثه أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون ، ومن يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته فهو عز وجل الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم، وهو العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية ، وله عز وجل الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

الابتلاء باستهزاء قومه وصنع السفينة :

أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام :

- أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب .

وذلك لأن نوحاً عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعاه ذلك للدعوة عليهم دعوة غضب ـ طلب من الله عز وجل أن ينزل غضبه عليهم ـ فلبى الله عز وجل دعوته وأجاب مطلبه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[سورة المؤمنون الآية: ٢٦] فاجتمع عليهم خطأهم من كفرهم وفجورهم ، ودعوة نبيهم عليهم ، فعند ذلك أمره الله عز وجل أن يصنع سفينة عظيمة لم يكن لها نظير قبلها ، ولا يكون بعدها مثلها .

فقد أمره الله ﷻ أن يغرس شجرا ليصنع منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ، ثم نجره في مائة سنة أخرى ، وقد أمر الله ﷻ أن يجعل لها جؤجؤاً ـ صدرا مدببا ـ أزور يشق الماء ، وأن يطلي ظاهرها وباطنها بالقار ، وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا مقسمة إلى ثلاثة طوابق كل طابق عشرة أذرع ، فالسفلى للدواب والوحوش ، والوسطي للناس ، والعليا للطيور ، وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها .

وأمره الله ﷻ عندما يحين الأجل أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الحيوانات ، وسائر ما فيه روح من المأكولات ، وغيرها لبقاء نسلها وأن يحمل معه أهل بيته إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيهم الدعوة التي لا ترد ، كما أمره الله ﷻ ألا يراجعه فيهم ، وفيما سيحل عليهم من العذاب ، وكان يصنع السفينة فكلما مر عليه جماعة من قومه سخروا منه قائلين:

ـ أتصنع سفينة لتمشي في الصحراء أم سوف تنقل البحر إليها ؟

فقال لهم نوح عليه السلام :

ـ إن كنتم تسخرون منا الآن فسوف نسخر منكم وقت وقوع العذاب حيث لا تجدون لكم نصيرا ولا حميما يغثكم من عذاب الله.

وعندما جاء أمر الله ركب معه طائفة ممن آمن معه عليه السلام وأهله المؤمنون به الموحدون لله ﷻ إلا ابنه وامرأته فقد كفرا بما أوحي إليه ولم يتبعاه ، وحمل معه من كل زوجين اثنين .

يُرْوَى عن ابن عباس : **أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار ، ودخل إبليس متعلقا بذيله.**

ثم قال الله ﷻ : ﴿ **وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ** ﴾ [سورة هود الآية: ٤١] وحينما ركبوا في السفينة واستقروا بها أرسل الله ﷻ من السماء مطراً لم تعهد الأرض قبله ، ولم تمطر السماء مثله بعده وأمر الأرض فنبع الماء من جميع فجاجها وسائر أرجائها . وعم الماء جميع الأرض طولا وعرضا ، سهلها ووديانها جبالها وقفارها ورملها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير . لكن السفينة كانت ﴿ **تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [سورة القمر الآية : ١٤] أي بحفظ الله وحمايته ورعايته .

ابتلاؤه عليه السلام في زوجته :

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « **إن جبريل نزل على النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واغلة** »

عندما أرسل الله ﷻ نوحا عليه السلام **إلى بني راسب** مبشرا ، ونذيرا فبدأ بأهله فدعا امرأته إلى عبادة الواحد الأحد ولكن الشيطان كان يوسوس لها ، ونجح الشيطان في صد واغلة امرأة نوح عليه السلام عن دين الله بل جعلت ابنها أيضا يكذب أباه .

وعلى الرغم من أن نوحاً عليه السلام كان فصيح اللسان واضح البيان إلا أن قومه قالوا:

ـ إذا كنت نبيا حقا فلماذا لم تتبعك امرأتك وابنك كنعان ؟

ورزق العليم الخبير نوحاً عليه السلام صبرا على الجدل وقدرة على تصريف الحجج ظل يناضل ويساجل ويقيم الحجج ويبسط البراهين لبني راسب حتى آمنت معه طائفة قليلة استجابوا لدعوته وصدقوا رسالته ، أما واغلة وابنها وبنو راسب فقد أعرضوا عنه .

وأعجب من ذلك أنها كانت تقول لابنها :

ـ إني لأعجب من أمر أبيك هذا ، هل أصابه الجنون ؟ كيف نعبد إلـهاً لا نراه ونذر آلهتنا التي تقف في المعبد الكبير ترزقنا وترعانا ؟ لقد سفه أبوك أحلام آبائه وشتم أجداده.

ولم تدخر واغلة أقرب الناس إلى نبي الله نوح عليه السلام جهدا ولا فرصة في التصدي لدعوة الخير بل كانت تقول **لبني راسب** :

ـ إنه مجنون.

لقد خانت واغلة زوجها بالكفر والنميمة فإذا أوحى الله ﷻ إلى نوح عليه السلام شيئا أفشته واغلة إلى بني راسب ، ولبث أول رسول بعث إلى أهل الأرض في **بني راسب** ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يلق نبي من قومه ما لقيَ نوح عليه السلام من **بني راسب** وامرأته وابنه ولكنه صبر على أذاهم وصمد لاستهزائهم .

ابتلاؤه عليه السلام في ولده :

عندما ركب نوح ﷺ في السفينة دعا ابنه كنعان ليركب معه وحذره أن يكون من الكافرين ، لكن الابن الضال استكبر في نفسه قائلا :

ـ سأرقى إلى قمة جبل عال فلا يصيبنى الماء .

فرد عليه نوح ﷺ قائلا :

ـ إنه عذاب شديد وسيلحق بكل كافر إلا من رحم ربي .

ولكن الابن العاصى أصر على موقفه ولم يركب مع والده فناله ما نال قومه من العذاب حيث أنه خالف أباه في دينه ومذهبه فكان من المغرقين.

* * *

لما قضى الطوفان على جميع أهل الأرض ولم يبق منهم أحد ممن عبد غير الله ﷻ أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها وأمر السماء أن تمسك عن إنزال المطر ، وبذلك قل الماء عما كان . وحلت بالقوم الكافرين اللعنة وبعدوا عن الرحمة والمغفرة . ثم أمر الله ﷻ السفينة فهبطت ، واستقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي .

وعن ابن عباس أنه قال : **كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم ، وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما ، وأن الله وجه السفينة على مكة فدارت بالبيت العتيق أربعين يوما ، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه ، فبعث نوح ﷺ الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوقع على الجيف** ـ أي ذهب يأكل من جثث القتلى ـ **فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين ، فعرف نوح ﷺ أن الماء قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي ، فابتنى قرية وسماها ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها العربية ، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح ﷺ يُعَبر عنهم.**

* * *

لما احتضر نبي الله نوح ﷺ قال لابنه :

- إني قاصٍ عليك وصية ، آمرك باثنين وأنهاك عن اثنين : آمرك بلاإلَه إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لاإلَه إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، فإن بها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق ، وأنهاك عن الشرك والكبر .

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال :

- بعث نوح ﷺ وله من العمر أربعمائة وثمانون سنة ، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون على هذا قد عاش ألف وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبر نوح ﷺ فإنه يوجد في المسجد الحرام .

* * *

هود عليه السلام

﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾
[سورة الأحقاف الآيات: ٢١-٢٢]

* * *

هو: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

* * *

وكانت قبيلته يقال لهم : عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا عربا يسكنون الأحقاف ـ جبال الرمل ـ وكانت باليمن بين عمان وحضرموت ، بأرض مطلة على البحر يقال لها : الشحر ، واسم واديهم : مغيث ، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام .

ابتلاؤه عليه السلام بعناد وكفر قومه :

كان قوم عاد أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة : صد ، صمودا ، هرا.

وقد جعل الله عز وجل قوم عاد أشد أهل زمانهم في الخلقة والشدة والبطش وكان قوم عاد جفاة كافرين ، عتاة متمردين في عبادة الأصنام .

فأرسل الله عز وجل فيهم هودًا عليه السلام رجلا منهم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى إفراد العبادة والإخلاص له عز وجل ، ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك بعقوبة في كلتا الدارين الأولى والآخرة .

ولكن يا للعجب العجاب فعندما دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الواحد الديان وترك عبادة الأوثان اتهموه بالجنون وقالوا له :

ـ إن هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة لما نحن فيه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق ، ومع هذا فنحن نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك إلينا .

فرد عليهم نبي الله قائلا :

- **ليس الأمر كما تظنون ولا كما تعتقدون إنما أبلغكم ما أرسلني به الله إليكم وأنا حريص على توصيل هذه الرسالة أمين في نقلها إليكم.**

وكان ﷺ في غاية النصح لقومه والشفقة عليهم ، والحرص على هدايتهم ، لا يبتغي منهم أجرا ، ولا يطلب منهم ثوابا ، بل هو مخلص لله ﷻ في الدعوة إليه والنصح لخلقه ، لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله ، فإن خيري الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه .

ولكن عندما قال لهم هود ﷺ ذلك ودعاهم إلى عبادة خالق الأنام وترك عبادة الأصنام قال له قومه :

- إنك ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به ، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا لمجرد قول منك بلا دليل أقمته ولا برهان نصبته ، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه وإنما أصابك هذا الآن بعض آلهتنا بأن غضب عليك فأصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك .

فما كان منه ﷺ إلا أن قال :

- **إني أشهد الله أني بريء من عبادة الأصنام وما تشركونه في عبادة الله ﷻ.**

وهذا تحد منه لهم وتبرأ من آلهتهم وتنقص منه لها ، وبيان أنها لا تنفع شيئا ولا تضر ، وأنها جماد حكمها حكمه - الجماد - وفعلها فعله فإن كنتم تزعمون أنها تضر وتنفع فها أنا بريء منها لاعن لها فانصبوا لي العداء جميعكم متى شئتم فأنا على الله متوكل وبه متأيد وواثق بنصره وقدرته فهو لا يضيع من لاذ به ، وأنا لست أبالي مخلوقا سواه ولا أعبد إلا إياه

ثم حذرهم بطش الله وعذابه إن هم لم يستجيبوا لدعوته ، ومع كل هذا فقد كذبوه وخالفوه وتنقصوه .

ولكن هودًا ﷺ لم ييأس ولم يستسلم لمن يجادله من قومه فبدأ يبين لهم نعم الله عليهم قائلا :

- إن الله ﷻ أنشأكم واستعمركم في الأرض لينظر كيف تعملون وأنتم تبنون في الأماكن المرتفعة أبنية عظيمة كالقصور وتعبثون ببنائها ، وتتخذون بروج الحمام والقصور ومآخذ الماء لتقضوا بها حاجاتكم؟

فقالوا له :

ـ أجئتنا لنعبد الله وحده ، ونخالف آباءنا وأسلافنا وما كانوا عليه ؟ فإن كنت صادقا فيما جئت به فأتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فإنا لا نؤمن بك ولا نتبعك ولا نصدقك ، فما جئت به ليس إلا اختلاق منك ، أخذته من كتب الأولين ، وهذا الدين الذي نحن عليه هو دين الآباء والأجداد من الأسلاف ولن نتحول عنه وسنظل متمسكين به .

فرد عليهم هود عليه السلام :

ـ إنكم بهذه المقولة قد استحققتم عذاب الله وغضبه ، أتعارضون عبادة الله وحده لا شريك له وتتخذون أصناما أنتم نحتموها وسميتموها آلهة من تلقاء أنفسكم ؟ وما أنزل الله بها من سلطان ، وإذا أبيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل فانتظروا الآن عذاب الله الواقع بكم ، وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد .

وقد كان ، فقد كان بدء عذابهم أن أمسك الله عز وجل عنهم القطر ثلاث سنين ، حتى جهدهم ذلك ، وكان الناس إذا أجهدهم أمر في ذلك الزمان طلبوا من الله الفرج وإنما كانوا يطلبونه من حرمه ومكان بيته .

ولذلك فقد ذهب القوم للحرم ليدعوا عنده ، فدعا داعيهم ـ قيل ابْنُ عَنْز ـ فأنشأ الله سحابات ثلاثا : **بيضاء ، وحمراء ، وسوداء** ، ثم ناداه مناد من السماء :

ـ اختر لنفسك و لقومك من هذا السحاب .

فقال :

ـ اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً .

فناداه المنادى :

ـ اخترت رمادا رمدداً ، لا تبقي من عاد أحدا ، لا والدا يترك ولا ولدا إلا جعلته همداً إلا بني اللوذية الهمدا ـ هم بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة ، فلم يصبهم ما أصاب قومهم ، ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم عاد الآخرة وساق الله عز وجل السحابة السوداء التي اختارها قِيلُ ابْنُ عَنْزٍ بما فيها من النقمة

إلى عاد حتى تخرج عليهم من وادى المغيث .

فلما رأوها استبشروا وقالوا :

ـ هذا عارض ممطرنا

حيث أنهم ظنوه سحابا ممطرا فإذا هو سحاب عذاب ، اعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر ، فقد أرسلها الله عليهم شررا ونارا وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار ، فهي تَهلِكُ كُلَّ شَيءٍ أُمِرَتْ به .

وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح امرأة يقال لها : مهد من عاد ، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها :

ـ ماذا رأيت يا مهد؟

قالت :

ـ رأيت ريحا فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها .

فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعات ، فأهلكت عادًا كلهم ولم تبق منهم أحدا ، فقد كانت هذه الريح تجيء إلى أحدهم فتحمله وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس كما قال تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة الآية : ٧]

فقد شبههم القرآن الكريم بأعجاز النخل التي لا رؤوس لها .

وقد اعتزل هود عليه السلام قومه هو ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم إلا ما تلين عليه الجلود ، وتلذ الأنفس ، وإنها لتمر على عاد بالظعن فيما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة .

* * *

ذُكِرَ عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن .

وذكر آخرون أنه بدمشق .

والله أعلم .

* * *

صالح عليه السلام

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [سورة القمر الآيات: ٢٣-٣١]

* * *

هو صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاثر بن إرم بن نوح عليهما السلام .

كان من قبيلة مشهورة يقال لها : ثمود باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عاثر بن إرم بن سام بن نوح .

ابتلاؤه عليه السلام بعناد قومه :

كان قوم ثمود عربا وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من أمرهم فدعاهم صالح ﷺ الذي كان رجلاً منهم بعثه الله ليدعوهم إلى عبادته ـ لعبادة الواحد الأحد ـ وترك ما سواه قائلا لهم :

ـ إن الله ﷻ قد جعلكم خلفاء في الأرض بعد قوم عاد لتعتبروا بما كان من أمرهم ، وتعملوا بخلاف عملهم .

كما أظهر لهم صالح ﷺ صورا من نعم الله عليهم قائلا :

ـ إن الله ﷻ أباح لكم الأرض تبنون في سهولها القصور حاذقين في صناعتها وإتقانها وإحكامها . فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح ، والعبادة له وحده لا شريك له ، وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته ، فإن عاقبة ذلك وخيمة فهو الله ﷻ الذي خلقكم وأنشأكم من الأرض ، وجعلكم عمارها ، وأعطاكم ما فيها من الزروع والثمار ، فهو الخالق الرزاق ، وهو الذي يستحق

العبادة وحده لا ما سواه ، فأقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته ، فإنه سوف يقبل منكم ويتجاوز عنكم ، فهذا الله ﷻ قد مد في أعماركم وآتاكم قوة جسمية ـ كانوا يبنون البيوت من الفخار فتخرب قبل موت الواحد منهم ، فنحتوا لهم بيوتا من الجبال ـ.

ولكن قومه لم يجيبوه إلا بقولهم:

ـ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ١٥٣] ـ أي أنك مسحور لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده وخلع ما سواه من الأنداد ـ وقد كنا نرجوا أن يكون عقلك كاملا قبل قولك ذلك.

فتلطف صالح عليه السلام في الكلام معهم **وأظهر لهم لين الجانب قائلا** :

ـ يا قوم إن أنا إلا رسول بعثني الله برسالة إليكم أفرأيتم إن اتبعتكم وتركت عبادة الواحد الأحد فمن ينصرني من بأسه إن جاءني ؟ يا قوم اعبدوا الله واتبعوني إني لكم ناصح أمين .

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا له :

ـ إن أنت إلا بشر مثلنا فإن كنت تريدنا أن نتبعك فأتنا بخارق يدل على صدق ما جئت به .

فأجابهم :

ـ يا قوم اتقوا الله ودعوا ما أنتم فيه من الجدال والمراء وثقوا أن الله ﷻ موجود وأنه أحق بالعبادة من غيره .

فلم يجيبوا دعوته ولم يلبوا نداءه بل اجتمعوا يوما في ناديهم وعندما جاءهم رسول الله صالح ليدعوهم إلى الله ﷻ ، ويذكرهم فضله ، ويحذرهم عذابه، ويأمرهم بعبادته قالوا :

ـ إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلى صخرة هناك ـ ناقة عشراء ، طويلة فسوف نتبعك ونؤمن لك.

فقال لهم نبي الله صالح عليه السلام :

ـ أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم ، على الوجه الذي طلبتم ، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به ؟

قالوا :

ـ نعم سوف نتبعك.

فأخذ منهم العهود والمواثيق على ذلك . ثم قـام ﷺ إلى مصـلاه فصـلي لله ﷻ ما قدر له ، ثـم دعـا الله ﷻ أن يجيـبهم إلى مـا طلبـوا ، فـأمر الله ﷻ تلـك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء ، على الوجه المطلـوب الـذي طلبـوا وعلى الصفة التي نعتوا .

فلما رأوا الصخرة قد انشقت وظهرت منها الناقة آمن كثير منهم لما رأوا أمراً عظيماً ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ، ودليلا قاطعـا ، وبرهانـا سـاطعا ولكـن آخرين استمروا على كفرهم وضلالهم وعنادهم وجحدوا بها ولم يتبعوا الحق .

وكان رئيس الذين آمنوا هو **جندع بن عمرو بن محلاة بن لبيـد بـن جـواس** ولكن **ذؤاب بن عمرو بن لبيـد** ، **الحبـاب** كـانوا أصـحاب أوثـانهم . وعنـدما ظهرت الناقة أوصاهم صالح ﷺ أن تبقى الناقة بـين أظهـرهم ، ترعـى حيـث شاءت من أرضهم ، وترد الماء يوماً بعد يوم لتشرب من ماء البئر ، وكـانوا هـم يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ، وكانوا يشربون من لبنها كفايتهم .
وكانت هذه الناقة فتنة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة .

ابتلاؤه عليه السلام بعقر الناقة :

فلما طال عليهم هذا الحال زين لهم الشيطان أعمالهم ، واجتمع رأيهم علـى أن يعقروا هذه الناقة .

وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم **قدار بن سالف بن جندع** ، وكان أحمر أزرق أصهب ، وكان يقال إنه ولد زانية ، ولد على فراش سالف وهو ابن رجل يقال له صيبان **واتفق مع مصرع بن مهرج بن محيا على قتل الناقة** . وسعوا بين القوم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وذلك قوله ﷻ:

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

[سورة النمل الآية: ٤٨] ، ثم انطلقوا يرصدون الناقة فلما رجعت من البئر بعد أن شربت الماء رماها **مصرع** بسهم فانتظم عظم ساقها ، وجاء النساء يشجعن القبيلة في قتلها . فابتدرها **قدار بن سالف** فشد عليها بالسيف فكشف عن عروقها فخرت ساقطة على الأرض ، ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر فصيلها ـ ولدها ـ ثم قاموا بنحرها ، وانطلق وليدها فصعد جبلا منيعا ورغا ثلاثا ثم دخل في الصخرة فغاب فيها.

ويذكر أنه من علامات الساعة أن تنشق هذه الصخرة ويخرج منها ولد الناقة ليكون آية وعلامة عن قيام الساعة .

ابتلاؤه عليه السلام بغدر قومه به :

وأكثر من ذلك أنهم بيتوا الغدر لرسول الله وأرادوا قتله فذلك قوله ﷻ : ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾[سورة النمل الآية : ٤٩] ولكن الله ﷻ وقف لهم بالمرصاد ورد كيدهم في نحرهم فانقلبوا خائبين .

ابتلاؤه عليه السلام بعذاب قومه :

لما كان مقتل الناقة فإن صالحاً عليه السلام قال لهم :

ـ ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [سورة هود الآية: ٦٥]

وكان أول من نزل بهم العذاب هم أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح عليه السلام ، وأصبحت ثمود في أول يوم من أيام العذاب ووجوههم مصفرة ، فلما أمسوا نودوا بأجمعهم :

ـ ألا قد مضى يوم من الأجل .

ثم أصبحوا في اليوم الثاني ووجوههم محمرة ، فلما أمسوا نودوا :

ـ ألا قد مضى يومان من الأجل .

ثم أصبحوا في اليوم الثالث من الأجل ووجوههم مسودة، فلما أمسوا نودوا

ـ ألا قد مضى الأجل .

فلما كان صبيحة يوم العذاب تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ما يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة ، لا يدرون كيف يفعل بهم ؟ ولا من أي جهة يأتيهم العذاب ؟ .

فلما أشرقت الشمس جاءتهم الصيحة من فوقهم ، والرجفة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات ، وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها . ولم يبق منهم أحد إلا جارية اسمها **كلبة بنت السلق** وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأت العذاب قامت تسعى كأسرع شيء حتى أتت حيا من العرب فأخبرتهم بما رأت ، وما حل بقومها واستسقتهم ماء ، فلما شربت ماتت .

* * *

إبراهيم عليه السلام

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾[سورة الأنبياء الآيات: ٥٢- ٥٥]

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾
[سورة الأنبياء الآيات: ٦٨-٧٠]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٥٨] .

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة إبراهيم الآيات: ٣٧]

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾
[سورة الصافات الآيات: ١٠٢-١٠٦]

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ

هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآيات: ٧٥-٧٨]

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [سورة مريم الآيات: ٤١-٤٨] .

* * *

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليهما السلام .

وكان عليه السلام يكنى بأبي الضيفان .

الابتلاء بعدم الرضا عن الآلهة :

البحث عن الإله :

عندما شب إبراهيم عليه السلام تطلع إلى تلك الكواكب التي كان أهل حران يعبدونها فتبين له أن هذه الأجرام والكواكب النيرة لا تصلح للألوهية ، ولا أن تعبد من دون الله عز وجل ، لأنها مخلوقة مربوبة ومصنوعة مسخرة ، تطلع تارة وتأفل أخرى ، فتغيب عن هذا العالم ، والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال ، لا إِلَٰه إلا هو ولا رب سواه.

فقد تطلع أولا إلى كوكب ولكنه لما أفل تبين عدم ربوبيته ، ثم ترقى منه على القمر الذي هو أضوأ وأبهى منه لكنه هو الآخر يغيب عن الكون ، ثم انتقل إلى الشمس التي هي أشد الكواكب ضياءً وسناءً وبهاءً فلما أفلت تبرأ لله مما يعبد قومه وشهد بوحدانية الله واتجه إلى عبادته دون سواه .

فقد تبين له أن هذه الأصنام والأجرام التي يعبدونها من دون الله لا تنفع شيئا ولا تسمع ولا تعقل ، بل هي مربوبة مصنوعة مسخرة .

ابتلاؤه عليه السلام في والده :

كانت أولى دعواته عليه السلام لأبيه ، فقد كان أبوه ممن يعبدون الأصنام ، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له .

وقد ذكر المولى ﷻ ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة ، وكيف أنه دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة ، فقد بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه ، فكيف تغني عنه شيئا؟ ، أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر؟

ثم قال عليه السلام لأبيه منبها :

ـ لقد أعطاني الله ـ مع صغر سني ـ هدىً وعلماً فاتبع ما جئت به يهدك الله إلى الطريق الحنيف الذي يفضى بك إلى الخير في دنياك وأخراك.

ولكنه عليه السلام لما عرض عليه هذا الرشد وأهدي إليه هذه النصيحة لم يقبلها منه ولم يأخذها عنه ، بل تهدده وتوعده قائلا :

ـ هل تتكبر يا إبراهيم على عبادة آلهتي ؟ لسوف أرجمنك حتى الموت إن لم تنته عما تقول .

ولم يتوقف عند هذا الحد بل قال له :

ـ اقطعني وأطل في هجراني فلم يعد لي رغبة في رؤيتك أو سماع صوتك .

فعندها قال له إبراهيم عليه السلام :

ـ سلام مني إليك يا أبي فلن يصلك مني مكروه ولن ينالك مني أذى، وسوف أستغفر الله العلي القدير لك لينعم عليك بالهداية فإنه ﷻ لطيف بي إذ هداني لعبادته والإخلاص له .

* * *

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **يلقى إبراهيم أبيه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله : إني حرمت الجنة على**

الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم انظر ما تحت رجليك ؟ فينظر ، فإذا هو بذبح متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار.

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

عندئذ بدأت دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها فقال عليه السلام: ﴿ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٥٢] أي خاضعون ومتذللون لها تطلبون صفحها وهي جامدة وتطلبون مساعدتها وهي عاجزة .

فما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والأجداد وما كانوا عليه من عبادة الأنداد ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴾[سورة الأنبياء الآية: ٥٣]

فرد عليهم إبراهيم عليه السلام : فما ظنكم بربكم؟ وماذا يفعل بكم يوم القيامة وقد عبدتم غيره ؟ بل وجادلهم في آلهتهم اللاتي يدعون من دون الله وبين لهم أنها لا تسمع شاكيا ولا تجيب داعيا ولا تنفع ولا تضر شيئا وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال ، ولهذا قال لهم : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[سورة الشعراء الآية: ٧٧] .

وهذا برهان قاطع على بطلان ألوهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تبرأ منها وتنقص بها فلو كانت تضر لضرته أو تؤثر لأثرت به .

ولم يدخر إبراهيم عليه السلام وسعا في إظهار حقيقة هذا الدين لهم قائلا :

- إنما إلـهكم الله الذي لا إِلَـٰهَ إلا هو ربكم ورب كل شيء فاطر السموات والأرض الخالق لهما على غير مثال سبق ، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين .

ثم سمعه بعضهم وهو يقول أنه سيكسر هذه الأصنام بعد انصرافهم إلى عيدهم ، وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد ، فدعاه أبوه ليحضره فقال له :

- إني مريض

فلما خرجوا إلى عيدهم ، واستقر هو في بلدهم ذهب إلى آلهتهم مسرعا مستخفيا فوجدها في بهو عظيم وقد وضعوا بين أيديها أنواعا من الأطعمة قربانا إليها فقال لها على سبيل التهكم والازدراء :

ـ ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾
[سورة الصافات الآيات: ٩١-٩٣]

فكسرها بقدوم في يده فجعلها حطاما إلا كبيرهم فقد وضع القدوم في يده إشارة إلى أنه استنكر أن تعبد هذه الأصنام الصغيرة معه ، فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بآلهتهم قالوا:

ـ من الذي فعل هذا بآلهتنا ؟

فرد عليهم البعض بأنهم قد سمعوا إبراهيم عليه السلام يعيبهم وينتقصهم بل ويذكرهم بسوء .

فنادوا أن:

ـ ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء الآية: ٦١]

أي لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعاينون ما يحل به من القصاص .

وكان ذلك من أكبر ما رمي إليه إبراهيم عليه السلام فقد أراد أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عبدة الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه وعندئذ فقد سألوه:

ـ أأنت فعلت هذا بالآلهة يا إبراهيم؟

فأجاب إبراهيم عليه السلام هازئا :

ـ إنما كبيرهم هو من فعل هذا ، ألم تروا القدوم بيده لقد غار أن تعبد معه الآلهة الصغيرة.

فنظر القوم إلى بعضهم في حيرة فهم يعلمون يقينا أن هذه الأصنام لا تكاد تدفع عن نفسها الضر فكيف يقوم كبيرها بتحطيم صغيرها ؟!

فلاموا أنفسهم على تركهم لها بدون حافظ أو حارس يقوم بحراستها .

ثم سألوا إبراهيم عليه السلام :

ـ لقد علمت يا إبراهيم أنها حجارة لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها واستجوابها ؟

فرد عليهم إبراهيم عليه السلام قائلا :

ـ أف لأصنامكم التي تعبدون ، أتعبدون أصناما أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون وتذرون الله خالق كل شيء والذي يقول للشيء كن فيكون .

فكيف يتعبد مخلوق لمخلوق مثله ؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم .

ابتلاؤه عليه السلام بإلقائه في النار :

عندما يئس الكفار من إبراهيم عليه السلام ورأوا أنه قد أظهر لهم الحق في بضع كلمات صادقة بل وأظهرهم على حقيقتهم وبطل حجتهم ودحض اعتقادهم لذا فقد عدلوا عن الجدال والمناظرة ، ولم تبق لهم حجة إلا استخدام قوتهم وسلطانهم فشرعوا في جمع الحطب من جميع الأماكن فمكثوا مدة يحملون الحطب حتى أن المرأة كانت إذا مرضت نذرت ، لإن عوفيت لتجمعن الحطب لحريق إبراهيم ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة فوضعوا فيها الحطب وأطلقوا فيها النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا شررها . ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق ـ صنعه لهم إبليس ـ ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول :

ـ لا إلَه إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

ولما هموا بإلقائه في النار، قال :

ـ حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقيل إنه لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار كان يقول :

ـ اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك .

لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار وعرض له جبريل عليه السلام في الهواء وقال له :

ـ يا إبراهيم ألك حاجة ؟

فرد إبراهيم عليه السلام قائلا :

ـ أما إليك فلا !

وجعل ملك المطر يقول :

ـ متى أؤمر فأرسل المطر؟

ولكن أمر الله كان أسرع :

ـ ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[سورة الأنبياء الآية : ٦٩]

فلم تصب النار إبراهيم عليه السلام بأي أذى ولم تحرق منه سوى وثاقه ، وكان جبريل عليه السلام مع إبراهيم في النار فكان يمسح عنه عرقه ، وكان معه أيضا ملك الظل .

فكان إبراهيم ﷺ في النار ولكن تحيط به روضة خضراء والناس حوله ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول ولا هو يخرج إليهم ، وحينما رأى أبو إبراهيم ذلك قال :

ـ نعم الرب ربك يا إبراهيم .

وعن إبراهيم ﷺ أنه قال :

ـ ما كانت أياماً وليالى أطيب عيشا من التى كنت فيها ـ في النار ـ وودت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذا كنت فيها .

وقال حبيب الرحمن ﷺ : **اقتلوا الوزغ ـ البرص ـ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم** . فكانت عائشة تقتلهن .

ابتلاؤه عليه السلام بالنمرود بن كنعان :

كان النمرود بن كنعان ملك من ملوك بابل طغى وبغى ، وتجبر وعتا ، وآثر الحياة الدنيا وملك الأرض ، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع . فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية .

وعندما قال له أبو الضيفان ﷺ :

ـ ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٥٨]

ويعني بهذا أنه إذا أتي برجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر **فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر** وإنما عنى إبراهيم بقوله ﴿ **رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ** ﴾ القدرة الإلـهية وإحاطة الله ﷻ بكل ما في الكون ولكن قول النمرود ﴿ **أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ** ﴾ إنما قالها عن مكابرةٍ وعناد .

وعلى هذا فقد تجاوز عنهـا إبـراهيم ﷺ وأراد أن يظهـر لـه عجـزه التـام عـن العديد من الأشياء التي يفعلها رب الأرض والسموات فقال له :

ـ إن هذه الشمس مسخرة كل يوم ، تطلع مـن المشـرق كمـا سـخرها خالقهـا ومسيرها وقاهرها وهو الذي لا إلَه إلا هو خالق كل شيء ، فإن كنت كمـا زعمت من انك الذي تحيى وتميت **فأت بهذه الشمس من المغرب** ، فإن الذي يحيى ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ، ولا يمانع ولا يغالب ، فقهر كـل شـيء

ودان له كل شيء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا ، فإن لم تفعله فلست كما زعمت ، والكل يعلم أنك لا تقدر على شيء من هذا .

وعندئذ تبين له ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه ، وبطلان ما سلكه وتظاهر به أمام جهلة قومه ، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به فانقطع وسكت .

* * *

قال زيد بن أسلم : إن الله ﷻ بعث ملكا إلى النمرود يأمره بالإيمان بالله فأبي عليه ، ثم دعاه الثانية فأبى عليه ، ثم دعاه الثالثة فأبى عليه وقال :

ـ إجمع جموعك وأجمع جموعي .

فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس ، فأرسل الله عليهم ذبابا بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بالية ودخلت واحدة منها في منخر الملك عذبه الله بها ، فكان يُضرب رأسه بالمرازب طول وجودها في منخره حتى أهلكه الله ﷻ بها .

ابتلاؤه عليه السلام بالهجرة :

سارة والجبار:

ترك إبراهيم عليه السلام قومه لما رآه منهم من آذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأعيناً عمياً ، فهاجر هو وزوجته سارة وابن أخيه لوط إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه ﷻ ودعوة الخلق إليه .

وقصد بهذه الهجرة أرض الشام وهي التي قال عنها ﷻ ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة الأنبياء الآية: ٧١] نزل خليل الرحمن بحرَّان فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، حتى شمل أرض حرَّان الجدب والغلاء وضاقت سبل العيش في الشام ، فرحل أبو الضيفان إلى مصر، وعندما دخل إبراهيم عليه السلام بسارة إلى هذه الأرض التي كان يحكمها جبار من الجبابرة ، إذ رآها بعض أعوانه، وقد كانت سارة على درجة كبيرة من الجمال .

فذهب أعوان الملك إليه وقالوا له :

ـ إن ها هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء وما ينبغي أن تكون إلا لك

فأرسل الجبار إلى إبراهيم عليه السلام وسأله عنها:

ـ من هذه ؟

قال إبراهيم ﷺ :

ـ هي أختي .

فأتي خليل الرحمن سارة فقال لها :

ـ يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني.

فأرسل إليها الجبار ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ ـ شلت يده ـ فقال :

ـ ادعي الله لي ولا أضرك.

فدعت الله له فأطلق يده ، ثم تناولها الثانية فأُخِذَ بمثلها أو أشد فقال :

ـ ادعي الله لي ولا أضرك .

فدعت الله له فأطلق يده ، فدعا بعض حجبته ، وقال :

ـ إنكم لم تأتوني بإنسان وإنما أتيتموني بشيطان.

ثم صرفها وأخدمها هاجر.

ولما ذهبت سارة إلى أبي الضيفان ﷺ فوجدته يصلي لله فبشرته وأخبرته أنه أخدمها هاجر .

ابتلاؤه عليه السلام بالحرمان من الولد :

كان إبراهيم ﷺ متزوجا من سارة وكان يحبها حبا جما فقد كانت زوجته وابنة عمه ، لكنها كانت لا تنجب .

فقام إبراهيم ﷺ يدعو ربه ليرزقه الذرية الطيبة . فبشره الله ﷻ بإسماعيل من هاجر ، فولد إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام وله من العمر ست وثمانون سنة ثم بشر سارة بإسحاق فولد إسحاق بعد إسماعيل بنحو ثلاث عشرة سنة .

ابتلاؤه عليه السلام بغيرة زوجاته :

لما رأت سارة أنها لن تستطيع أن تمنح إبراهيم ﷺ الولد الذي تهفو إليه نفسه وتتطلع إليه روحه وهبته هاجر ، وحين دخل بها إبراهيم ﷺ حملت منه .

فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها ـ سارة ـ فغارت منها وشكت ذلك لإبراهيم ﷺ ، ومن ثم غضبت عليها سارة غضبا شديدا وحلفت لتقطعن من جسمها ثلاثة أعضاء .

فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها وأن تختنها فبرت بقسمها .

فكانت هاجر رضي الله عنها أول من اختتنت من النساء ، وأول من طولت ذيلها ، وأول من ثقبت أذناً فارتدت فيهن القرط .

فلما رأتها سارة قالت :

ـ والله لقد ازدادت بذلك جمالا.

ابتلاؤه عليه السلام بفراق أهله :

لما اشتدت غيرة سارة من هاجر طلبت من خليل الرحمن ﷺ أن يغيبها وولدها عن عينيها ، فسار إبراهيم ﷺ إلى مكة ، فوضعهما عند البيت قرب زمزم ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء . ثم تركهما هناك وولى ظهره عنهما ، فقامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت :

ـ يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ها هنا وليس معنا ما يكفينا ؟

ولما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له :

ـ آلله أمرك بهذا ؟

قال لها :

ـ نعم .

فردت عليه قائلة :

ـ إذن لن يضيعنا .

وانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا قائلا :

ـ ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [سورة إبراهيم الآية: ٣٧]

ابتلاؤه عليه السلام بالاختتان :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : **اختتن إبراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم .**

قيل:

القدوم مكان

وقيل :
الآلة التي اختتن بها إبراهيم عليه السلام وهى الفأس.

ابتلاؤه عليه السلام بذبح ولده :

لما هاجر إبراهيم الخليل من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا ، فبشره الله تعالى بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام ، وهو أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل ، فلما شب إسماعيل وصار يسعى في مصالحه كأبيه رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا .

وعن ابن عباس أنه قال : **رؤيا الأنبياء وحي.**

وهذا إخبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر ، وقد طعن في السن ، بعد ما أمر أن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر ، وواد ليس به جليس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع ، فامتثل أمر الله في ذلك ، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه ، فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان . ثم أُمر بعد هذا كله بذبح ولده ، وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره ، أجاب ربه وامتثل أمره ، وسارع إلى طاعته . ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً أو يذبحه قهراً.

فبادر الغلام الحليم قائلا :

ـ ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[سورة الصافات الآية: ١٠٢]

وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد وإلى رب العباد ، وعندما استسلما لأمر الله عز وجل ، أخذ إبراهيم عليه السلام ولده فألقاه على وجهه لأنه أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه ، وتشهد الولد للموت ، وكلما أمر إبراهيم السكين على حلق ابنه لم تقطع شيئا فكأن بينها وبينه صفيحة من نحاس.

فعند ذلك نودي من رب العزة أن يا إبراهيم إنما كان هذا اختباراً لك لنرى مدى طاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك وبذل ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنيران وقدمت مالك للضيفان ، وإنا جاعلون فداء لولدك كبشاً أبيض فرآه إبراهيم عليه السلام مربوطاً بالقرب منهما .

وقيل : إن هذا الكبش كان يرعى في الجنة أربعين خريفا .

وقيل : كان عليه صوف أحمر .

* * *

روي عن معاوية : أن رجلا قال لرسول الله ﷺ « **يا ابن الذبيحين** ». فضحك النبي ﷺ .

المراد بالذبيحين عبد الله بن عبد المطلب وإسماعيل بن خليل الرحمن عليهما السلام.

ابتلاؤه عليه السلام ببناء البيت العتيق :

كما قال الله ﷻ : ﴿ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ** ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٢٤] حيث قام عبد الله ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام ببناء هذا المسجد وهو أول مسجد وضع لعموم الناس ليعبدوا الله فيه بعدما أرشده الله ﷻ إلى مكانه ودله عليه .

ومكان الكعبة الشريفة في الأرض يوازي البيت المعمور في السماء والذي تحج إليه الملائكة، يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه ثانية إلى يوم القيامة بحيث لو سقط البيت المعمور لسقط على الكعبة .

كان إبراهيم عليه السلام يزور ولده إسماعيل من آن لآخر ثم جاءه يوما وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه إسماعيل مقبلا عليه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ـ من التحية والقبلات ـ ثم قال خليل الرحمن عليه السلام :

ـ يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .

قال إسماعيل عليه السلام :

ـ فاصنع ما أمرك به ربك .

قال إبراهيم عليه السلام :

ـ وتعينني ؟

قال إسماعيل عليه السلام :

ـ وأعينك.

قال إبراهيم عليه السلام :

ـ فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ؟

وأشار إلى أكمه مرتفعة عما حولها .

فقام إبراهيم عليه السلام يبني البيت العتيق استجابة لأمر الله ﷻ يساعده في ذلك ولده إسماعيل حتى إذا ارتفع البناء عن قامته وضع له ولده حجرا مشهورا ألا وهو مقام إبراهيم عليه السلام ليرتفع عليه ليكمل بناء البيت . ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ**

﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٧] فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله ﷻ وهما يسألانه ﷻ أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور .

وعلى هذا فقد قام خليل الرحمن عليه السلام وولده إسماعيل ببناء أشرف المساجد في أشرف البقاع ، في واد غير ذي زرع ودعا لأهله بالبركة وأن يرزقهم الله من طيب الثمرات

* * *

وعن السدي أنه قال :

لما أمر الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة لم يدريا أين مكانه ، حتى بعث الله ريحا يقال له الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، وأتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس وذلك حين يقول تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [سورة الحج الآية: ٢٦] فلما بلغا القواعد وبنيا الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل :

ـ يا بني اطلب لي حجراً حسناً أضعه هاهنا .

قال إسماعيل :

ـ يا أبت ، إني كسلان تعب.

قال إبراهيم عليه السلام :

ـ عليَّ ذلك.

فانطلق ، فجاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيض كياقوتة بيضاء مثل الثغامة ـ نبات أبيض شديد البياض ـ وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن ، فقال :

ـ يا أبت من جاءك بهذا ؟

قال خليل الرحمن عليه السلام :

ـ جاء به من هو أنشط منك.

فبنيا البيت وهما يدعوان :

ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٧]

ابتلاؤه عليه السلام بحمل أمانة تبليغ الأذان بالحج إلى الناس :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧]

حيث أمره الله ﷻ أن ينادى فى الناس بالحج فقال سيدنا إبراهيم ﷺ :

ـ يارب وما يبلغ صوتى حتى يسمعه كل أحد من الناس ؟

فقال له الله ﷻ :

ـ عليك الأذان وعليَّ البلاغ ، وسيصل صوتك إلى الناس جميعاً فى بقاع الأرض ، بل ولكل جنين فى بطن أمه .

ابتلاؤه عليه السلام بأقوال اليهود والنصارى :

قال الله ﷻ في محكم آياته : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة آل عمران الآيات: ٦٥-٦٧] .

ففي هذه الآيات الكريمة إنكار من الله ﷻ على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كلٍ من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم فبرأه الله منهم ، وبين كثرة جهلهم وقلة عقلهم في قوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[سورة آل عمران الآية : ٦٥] . فكيف يكون على دينكم وأنتم إنما شرع لكم ما شرع بعده بمدة طويلة ؟

فبين لهم الحق جل وعلا أن إبراهيم ﷺ **على دين الله الحنيف** وليس على النصرانية أو اليهودية .

فقد نزهه الله ﷻ عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا وبين أنه إنما كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين .

ذكر أن قبره ﷺ وقبر ولده إسحاق وولد ولده ـ حفيده ـ يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليهما السلام ببلد حبرون **وهو البلد المعروف بالخليل اليوم .**

* * *

إسماعيل عليه السلام

ابتلاؤه عليه السلام وأمه بالسكن في واد غير ذي زرع :

استجاب إبراهيم عليه السلام لرغبة زوجته سارة في إبعاد هاجر وولدها عن عينيها فذهب بهما حيث مكة وتركهما بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا جليس.

وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها وتشرب من ماء كان معها في جرة صغيرة حتى إذا نفد ـ انتهى ـ ما في السقاء عطشت وعطش ولدها ، وجعلت تنظر إليه وهو يتلوى من شدة الجوع والعطش ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا

فهبطت من **الصفا** حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ثم أتت **المروة** فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، **ففعلت ذلك سبع مرات** .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت :

ـ صه ـ تريد بها نفسها ـ .

ثم تسمعت فإذا هي بملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوطه وتغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ، ثم شربت وأرضعت ولدها .

فقال لها الملك :

ـ لا تخافي الضيعة ـ الضياع ـ فإنَّ ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله.

وظلت هاجر ـ رضي الله عنها وولدها ـ هكذا حتى مرت بهم جماعة من جرهم العماليق ـ قبيلة ـ نزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا يبحث عن الماء ، فقالوا:

ـ إن هذا الطائر ليدور على ماء ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء .

فأرسلوا رسولا منهم ليستطلع الأمر فإذا هو بالماء فرجع وأخبرهم به فأقبلوا على هاجر وولدها فقالوا لها :

ـ أتأذنين لنا أن ننزل عندك .

قالت :

ـ نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء عندنا.

قالوا :

ـ نعم .

فشب إسماعيل عليه السلام بينهم وتعلم العربية منهم ، وملأ نفوسهم حبا به وأعجبهم ، فلما أدرك ـ بلغ سن الزواج ـ زوجوه امرأة منهم .

ابتلاؤه عليه السلام في زوجته :

كان إبراهيم عليه السلام يزور ولده وزوجته من حين لآخر ليودهم ويباشر أمورهم.

وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل لكي يزوره فلم يجد إسماعيل في داره وإنما وجد امرأته فسألها عنه فقالت :

ـ خرج يبتغي لنا .

ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت :

ـ نحن بشَرٍّ، ونحن في ضيق وكرب وشدة ، وشكت إليه .

قال إبراهيم عليه السلام :

ـ فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل عليه السلام فكأنه آنس شيئا فقال :

ـ هل جاءكم من أحد ؟

قالت :

ـ نعم جاءنا شيخ وصفه كذا وكذا فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة .

قال إسماعيل عليه السلام:

ـ فهل أوصاك بشيء ؟

قالت :

ـ نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك.

قال إسماعيل عليه السلام :

ـ ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك.

وطلقها وتزوج منهم أخرى .

• وهكذا فإننا نرى طاعة الولد لوالده ومدى حرص إبراهيم عليه السلام ألا تكون زوجة ولده امرأة كثيرة الشكوى بل تكون عائناً له على دينه .

وعندما تزوج إسماعيل عليه السلام بأخرى لبث عنهم إبراهيم عليه السلام ما شاء الله ثم أتاهم فلم يجد إسماعيل عليه السلام في داره فسأل عنه امرأته فقالت:

ـ خرج يبتغي لنا .

قال إبراهيم عليه السلام :

ـ كيف أنتم ؟

وسألها عن عيشهم وهيئتهم.

فقالت :

ـ نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ﷻ.

فقال لها :

ـ ما طعامكم ؟

قالت :

ـ اللحم.

قال :

ـ فما شرابكم ؟

قالت :

ـ الماء .

قال لها خليل الرحمن :

ـ اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

ثم قال لها:

ـ فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل عليه السلام قال :

هل أتاكم من أحد ؟

قالت :

ـ نعم . أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنّا بخير .

قال الذبيح المجتبى عليه السلام :

ـ أفأوصاك بشيء ؟

قالت :

ـ نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

فرد عليها الذبيح عليه السلام :

ـ ذاك أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك.

وهكذا نرى أن بر الوالدين هو السبيل للفلاح في الدنيا والآخرة فقد أبدله الله ﷻ بزوجة أفضل من زوجة السوء جزاءً له على بره بوالده وسماعه لنصحه وإرشاده .

* * *

لوط عليه السلام

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف الآيات: ٨٠-٨٤]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم الآية: ١٠]

* * *

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

نزح لوط عليه السلام مع إبراهيم الخليل من أرض قومهما حيث كان لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام فنزل لوط بمدينة سدوم ، وكان أهلها من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم أخلاقا وأردأهم سريرة وسيرة ، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

فقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من بني آدم وهو إتيان الذكران من العالمين وتركوا ما خلق الله عز وجل لهم من النساء.

فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات ، والأفاعيل المستقبحات ، فتمادوا في ضلالهم وطغيانهم ، واستمروا على فجورهم وكفرهم .

بل وأكثر من ذلك فقد هموا بإخراج رسولهم من بينهم ، واستضعفوه وسخروا منه .

وكان قومه عليه السلام هم أسوأ أمة وجدت على ظهر البسيطة إذ كانوا يقطعون الطريق ويأتون الرجال من دون النساء ـ اللواط ـ ويخونون الرفيق ، ويأتون في

ناديهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافها ، وربما وقعت منهم الفعائل العظيمة فلا يستنكفون من فاعلها ولا يستحيون من مجالستهم ، ولا يرعون لوعظ واعظ ، ولا نصيحة من عاقل ، وكانوا في ذلك كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

وظلوا هكذا أمدا طويلا فلم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ، ولا ندموا على ما سلف من الماضي .

ابتلاؤه عليه السلام بطمع قومه في ضيوفه :

وعندما أخذ بهم الغرور مأخذه طلبوا من نبيهم وقوع ما حذرهم به من العذاب الأليم ، وحلول البأس العظيم . فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم ، فسأل رب العالمين وإلَـه المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين .

فغار الله لغيرته ، وغضب لغضبته واستجاب لدعوته ، وأجابه إلى طلبه ، وبعث رسله الكرام ، وملائكته العظام وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل حتى أتوا أرض سدوم فنزلوا بها في صورة شبان حسان ، اختبارا من الله تعالى لقوم لوط ، وإقامة للحجة عليهم .

وأتت الملائكة أرض سدوم في منتصف النهار ، فلما بلغوا سدوم وجدوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان الكبرى **(ريثا)** والصغرى **(زغرتا)** فقالوا لها :

ـ يا جارية هل من منزل ؟

فقالت لهم:

ـ نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ـ فقد خافت عليهم من قومها ـ .

فأتت أباها فقالت له :

ـ يا أبتاه : أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ـ حيث نهاه قومه أن يضيف رجلا ـ فجاء بهم لوط عليه السلام إلى داره فلم يعلم أحد إلا أهل بيته ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت لهم :

ـ إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط .

فجاءه قومه يهرعون إليه .

أراد لوط أن ينصح لهم رفقة بهم وإكراماً لضيوفه ، فأرشدهم إلى ترك إتيان الذكور موجها إياهم إلى نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم حلالا طيباً فردوا عليه قائلين :

ـ لقد علمت يا لوط أنه لا حاجة لنا في نسائنا ، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا من غير النساء فسلم لنا ضيوفك حتى نتركك في أمان .

فتمنى لوط عليه السلام لو كان له قوة بهم ـ حيث إنه كان ضعيف البنية ـ أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ، ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا .

وجعل نبي الله لوط عليه السلام يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق ، وهم يريدون فتحه حتى ولجوا منه ـ دخلوه ـ وأرادوا أن يصيبوا الملائكة ، فخرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بطرف جناحه فطمست أعينهم.

ثم تقدمت الملائكة من لوط عليه السلام وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل وأن يكون في أخرهم إلا امرأته فلا تكون معهم ولا تتبعهم .

فلما جاء أمر الله اقتلعهن جبريل عليه السلام بطرف جناحه وكن سبع مدن بمن فيهن من الأمم وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتمرات ، فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء ، حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها .

وأرسل الله ﷻ عليهم حجارة شديدة يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء مكتوب مع كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه .

ابتلاؤه عليه السلام في زوجته :

كانت زوجة لوط عليه السلام تسمى **والهة** وكانت كافرة لم تتبع لوطاً عليه السلام ولم تصدق ما جاء به . وكانت إذا نزل ضيف بلوط عليه السلام أسرعت ودخنت لتعلم أهل سدوم أنه قد نزل ضيف .

فيأتي أهل سدوم ويقولون :

ـ يا لوط إنا ننهاك أن تضيف أحدا من الغرباء لأننا نريد منهم الفاحشة ، ولا تكلمنا في أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة ، يا لوط : خل عنا فلنضف الرجال .

لذا فقد أخبر الله ﷻ عن امرأة لوط في كتابه الكريم قائلا : ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا** ﴾ [سورة التحريم الآية: ١٠] وليس المقصود من هذه الآية الكريمة بالخيانة أنها كانت على فاحشة حاشا وكلا فإن الله ﷻ لا يكتب على نبي قط أن تبغي

امرأته، وإنما كانت خيانتها في الدين **حيث إنها لم تصدق زوجها ولم تؤمن بما جاء به** .

كما قال ابن عباس وغيره من السلف : « **ما بغت امرأة نبي قط** » .

وعندما كتب الله العذاب على أهل سدوم وخرج لوط بأهله لحقت به والهة فنهى نبي الله لوط عليه السلام من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت وراءه ، وجاء أمر الله ونزل بقوم لوط عليه السلام العذاب ، فالتفتت والهة وراءها عندما سمعت الهدة فقالت:

- واقوماه.

فأدركها حجر فقتلها فكانت عبرة وموعظة ضربها العلي الخبير مثلا للذين كفروا .

* * *

شعيب عليه السلام

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

[سورة الأعراف الآيات: ٨٥-٨٦].

* * *

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

هو شعيب بن ميكيل بن يشجن ، وكان ﷺ يسمى خطيب الأنبياء لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته .

وقد أرسله الله ﷻ **إلى أهل مدين** وهم قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قريبة من معان ـ في الأردن ـ من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة لوط ، وكانوا بعد قوم لوط بمدة وجيزة .

وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة ـ شجرة من الأيك ـ وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، **ويبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيها ، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص** .

فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله شعيب ﷺ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن القيام بهذه الأفعال الشنيعة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم ، وأخذ يذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد قلة ، وحذرهم نقمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه ، ومنعهم أن يركبوا ما هم عليه ويستمرون عليه فيمحق الله بركة ما في أيديهم ، ويفقرهم بعد غنى ، ونهاهم عن تطفيف الميزان وحذرهم عذاب الله الأليم في أخراهم ، وعنفهم أشد تعنيف .

وأخذ عليه السلام يقول لهم :

- رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس ، وما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان ، خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف ، وإن القليل من الحلال خير لكم من الكثير الحرام ، فإن الحلال مبارك وإن قل ، والحرام ممحوق وإن كثر.

فاستنكر عليه قومه قوله ، وتولوا عنه ، فما كان منه إلا أن قال لهم:

- إن الله عز وجل أرسلني إليكم بالرسالة والنبوة ولكن قولي لم يلق إلا آذاناً صماً، وقلوبا غلفًا ، فأي حيلة لي فيكم ؟

واستطرد خطيب الأنبياء قائلا :

- وأنا لا آمركم بأمر إلا وأنا فاعل له ، وإذا نهيتكم عن شيء ، فأنا أول من يتركه ، وأنا أتوكل على الله عز وجل في جميع أموري، وإليه مرجعي ومصيري.

فرد عليه قومه قائلين :

- ﴿ **قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ** ﴾ [سورة هود الآية : ٩١] .

حيث إنه كان عليه السلام ضرير البصر فقد ازدادوا في طغيانهم وعدوانهم واستمروا في كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع .

فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلا :

- هل تخافون قبيلتي وعشيرتي وتراعوني بسببهم ، ولا تخافون عذاب الله ، ولا تراعوني لأني رسول الله ؟ فصار رهطي أعز عليكم من الله وهو العليم بما تصنعون ، محيط به وسيجزيكم عليه يوم ترجعون إليه.

ولما يئس منهم ولم يجد منهم غير الإعراض عن قوله والإنصياع إلى أهوائهم قال لهم :

- اعملوا ما أنتم عاملون حتى يفصل الله بيني وبينكم ونعلم من هو كاذب ومن هو صادق؟

ثم دعا عليهم شعيب عليه السلام حينما تمكن اليأس منه مما لاقاه على أيديهم من إنكار نبوته وصَدٍّ لدعوته وهجر بالسوء له ومن اتبعه من المؤمنين ، والله عز وجل لا يرد

دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروا به وكذبوا رسوله .

وجمع الله ﷻ عليهم أنواعا من العقوبات ، وصنوفا من المثلات ، وأشكالا من البليات ، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات .

فقد أرسل الله ﷻ عليهم حرا شديداً ، وأسكن الله عليهم هبوب الهواء سبعة أيام ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ، ولا دخولهم في الأسراب ، فهربوا إلى البرية ، فأظلتهم سحابة ، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا تحتها أخذت ترميهم بشرر وشهب ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح ، وضربت الديار .

ونجى الله ﷻ شعيبا والذين آمنوا معه ، وأحل عذابه الأليم بمن كذبوا رسوله ولم يصدقوه ولم يتبعوه لكي يكونوا آية وعبرة لمن تبعهم من الأمم .

* * *

يعقوب عليه السلام

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة يوسف الآيات : ٤ - ٥]

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف الآيات: ٨٤ - ٨٦]

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[سورة يوسف الآيات: ٨١ - ٨٢]

* * *

ابتلاؤه عليه السلام في أولاده:

كان يعقوب عليه السلام - كان يسمى إسرائيل - له من الولد اثنا عشر ذكراً ، وكان **بنيامين ويوسف** ابناه من زوجته **راحيل** بينما باقي أولاده من زوجته ليا .

وقد كان يعقوب عليه السلام يحب بنيامين ويوسف أكثر من حبه لباقي أولاده نظرا لحبه لزوجته راحيل ، ومن ثم فقد نشأت غيرة شديدة بين أولاده من جراء هذا الحب والتفضيل العظيمين ليوسف وأخيه .

ولذا فعندما صارح يوسف والده عليهما السلام برؤياه تحركت في صدره الخشية من أولاده عليه لذا فأمره أن يكتم هذا الأمر عنهم لئلا يصيبه منهم مكروه .

وقد كان ما يخشاه يعقوب عليه السلام فإن أولاده أضمروا في أنفسهم أن يقتلوا يوسف أو يبعدوه إلى أرض لا يرجع منها أبداً لتبقي محبة أبيهم لهم وحدهم ثم يتوبوا بعد ذلك .

ابتلاؤه عليه السلام بفقدان يوسف عليه السلام :

أجمع أولاد يعقوب ﷺ رأيهم على أن يلقوا يوسف ﷺ في بئر فيموت فيها جوعا وعطشا ، ولكن كيف السبيل إليه وأبوه يرفض دائما أن يصطحبوه معهم؟ فذهبوا إلى أبيهم وطلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم يوسف ، وأظهروا لهم أنهم يريدون أن يأخذوه ليرعى معهم ، وأن يلعب ويلهو ، وقد أضمروا في أنفسهم ما الله به عليم .

فأجابهم يعقوب ﷺ :

- يا بنيَّ يشق علي أن أفارقه ساعة من نهار ، ومع هذا أخشى أن تشتغلوا في لعبكم وما أنتم فيه فيأتي الذئب فيأكله ، ولا يقدر على دفع أذاه لصغره وغفلتكم عنه.

فردوا عليه قائلين :

- لئن اعتدى عليه الذئب فأكله من بيننا ، أو اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة إنا إذا لخاسرون عاجزون هالكون .

ولم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم ، فما كان إلا أن غابوا عن عينيه فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال وأجمعوا أن يلقوه في البئر. ثم ألقوه فيها ، ثم أخذوا قميصه فلطخوه بشيء من الدم ، ورجعوا إلى أبيهم عشاءً وهم يتظاهرون بالبكاء على أخيهم .

ثم خاطبوا أبيهم قائلين من خلال عبراتهم الزائفة:

- يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند ثيابنا ليحرسها لنا في غيبتنا فما كان إلا أن أكله الذئب في غفلةٍ منا ، ونحن نعلم أنك لست لنا بمصدق لأنك حذرتنا من ذلك.

فنظر يعقوب ﷺ إلى القميص فتبين له كذبهم ـ لأنهم وضعوا عليه الدم ، لكنهم نسوا أن يخرقوه ـ ولما ظهر عليهم من علامات الريبة فإنه كان يعلم عداوتهم له وحسدهم إياه وبغضهم الشديد له ولأخيه بنيامين ، حيث تفرس يعقوب القميص **فلم يجد به خدشا أو تمزيقا** فقال :

- ما أروع حلمك أيها الذئب !! ، وما أشد رحمتك بيوسف !! ، أكلته ولم تترك بقميصه خدشا أو تمزيقا ؟!.

وهكذا استطاع القميص أن يفصح عن الحقيقة وأن يسرها إلى يعقوب عليه السلام فالتفت إلى أولاده وهو يقول :

- ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [سورة يوسف الآية: ١٨]

لك الله يا يعقوب !! أن تواجه موقفا أكبر من أن تحتمله الجبال الراسيات ، والشم الشامخات ، وتتلقي نبأ الفجيعة في فلذة كبدك وثمرة فؤادك وأملك ومحيط أحلامك ، فيمن توسمت فيه النبوة المنتظرة ، والبنوة البارة الوفية .

إن الإنسان عند المصيبة يفقد توازنه ، فما بالنا لو كان ذلك في سويداء قلبه ، ولكن يعقوب عليه السلام تعامل مع الموقف بما أمر الله عز وجل ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٤٥].

لقد ألقي يعقوب عليه السلام بنفسه في أحضان الصبر يستمسك به وفي رحاب الاستعانة يستغيث بها، فبالصبر والتحمل والاستعانة تهون المصيبة ، ألا فليعرف المؤمن كيف يتعامل مع قضاء الله وقدره ؟﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[سورة البقرة الآيات : ١٥٥- ١٥٦] .

ابتلاؤه عليه السلام بفقدان بنيامين :

عندما جاءت سنين الجدب والقحط وحلت بالبلاد والعباد ، قدم إخوة يوسف مصر على أخيهم جاهلين إياه ليمتاروا - يطلبون المعونة - لهم طعاماً .

وكان يوسف عليه السلام إذ ذاك هو الحاكم في خزائن الديار المصرية دينا ودنيا فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه ، لأنهم لم يخطر ببالهم ما صار إليه يوسف عليه السلام من المكانة والعظمة .

- ثم سألهم عن حالهم وكم هم ؟

قالوا :

- كنا اثنى عشر رجلا ، فذهب منا واحد وبقي شقيقه عند أبينا.

فقال لهم يوسف عليه السلام :

- إذا قدمتم من العام المقبل فأتوني به معكم ، وإن لم تأتوني به فلست أعطيكم ميرة مرة أخرى

ثم زودهم بالطعام وأعطاهم من الميرة ما جرت به عادته ، من إعطاء كل إنسان حمل بعير لا يزيده عليه.

فردوا عليه قائلين :

ـ سنجتهد في مجيئه وإتيانه إليك بكل ممكن.

ثم أمر الكريم ابن الكريم ابن الكريم فتيانه أن يضعوا بضاعتهم وما جاءوا به يتعوضون به عن الميرة في أمتعتهم لأنه خشي ألا يجدوا ما يرجعون به مرة ثانية .

ولما ذهبوا إلى أبيهم قصوا عليه ما حدث وكيف أن العزيز منعهم من الاكتيال إلا إذا قدموا عليه بأخيهم بنيامين .

وكان يعقوب ﷺ أحن شيء بولده بنيامين ، لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ، ويتسلى به عنه .

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم فيها لم تنقص شيئا ، فراودوا يعقوب في ابنه عله يسمح له بالذهاب معهم ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يحافظوا عليه حتى يأتوه به ولولا حاجته وحاجة قومه للميرة ما بعث بنيامين معهم . ثم أمرهم ألا يدخلوا المدينة من باب واحد ، ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة لئلا تصيبهم العين، وذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بديعة .

وعندما دخلوا على يوسف به تفرد يوسف بأخيه وأخبره بأنه أخوه ليسري عنه وأمره بكتمان ذلك عن إخوانه لئلا يفتضح أمره .

ثم احتال يوسف ﷺ بأخذ أخيه منهم ، فأمر فتيانه بوضع سقايته ـ التي كان يشرب فيها ويكيل فيها للناس ـ عن غرة في متاع بنيامين ، ثم أعلمهم بسرقة صواع الملك وأمر فتيانه بالتفتيش والبحث عن السقاية في رحلهم أجمعين . ثم أخرجها من رحل بنيامين ، فشرد لبهم ووقفوا مشدوهين ، فأمر يوسف بأخذ بنيامين ـ كان في شريعتهم أن السارق يدفع به إلى المسروق منه ـ جزاءً له .

وعندما انقشعت سحب الذهول والاستغراب من أمام أعينهم استلطفوا يوسف ﷺ بأرق العبارات لكي يأخذ منهم من يشاء ويترك بنيامين لأن أباه سيحزن عليه كثيراً ، ولكنه رفض ذلك قائلا :

ـ كيف نأخذ البريء ونترك الجاني ؟ إننا إن فعلنا ذلك فقد استوجبنا عذابا

عظيما لأننا قمنا بخطأ فادح .

فأخذوا يجادلونه ويحاورونه ولكنه أصر على موقفه ولم يتزحزح عنه .

فتركوه وانصرفوا يتناجون في أمرهم ، فقال كبيرهم روبيل :

ـ ألم يأخذ أباكم عليكم العهد بأن ترجعوا إليه بنيامين ؟ لقد أخلفتم عهده ، وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله فلم يبق لى وجه أقابله به ، فسوف أظل مقيما ها هنا حتى يأذن لي أبي في القدوم عليه أو يساعدني ربي في رد أخي إلى أبي

فتركوه وأقبلوا على أبيهم يقصون عليه ما حدث ويستشهدون على صدق قولهم بالقافلة التي رجعوا فيها والقرية التي كانوا فيها .

فأنكر يعقوب عليه السلام قولهم لأنه يعلم علم اليقين أن السرقة ليست من سجايا أو خصال بنيامين وإنما كان تفريطهم فيه مترتبا على صنيعهم في يوسف .

ابتلاؤه عليه السلام بفقد بصره:

عندما ابتُلي يعقوب عليه السلام بفقد ولديه ـ يوسف عليه السلام وبنيامين ـ أعرض عن بنيه وذكره حزنه الجديد بحزنه القديم ، وحرك ما كان كامناً ، فما زال يبكي ابنيه حتى ذهب بصره وابيضت عيناه من شدة البكاء والحزن عليهما .

فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم الفراق أجمعوا أمرهم وذهبوا إلى يوسف عليه السلام ليمتاروا لأهلهم ويأخذوا أخاهم منه .

فلما دخلوا على يوسف قالوا :

ـ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر من الجدب وضيق الحال وكثرة العيال ، وقد جئنا ببضاعة نرجوا أن تقبلها منا على الرغم من تفاهة قيمتها ، ونرجوا أن تتصدق علينا برد أخينا إلينا .

فلما رأى يوسف عليه السلام **ما هم عليه من الهم والحزن والفقر وضيق ذات اليد** مال إليهم وعطف عليهم وأشفق لحالهم ، فعرفهم بنفسه وأخبرهم أنه يوسف وكيف أكرمه الله عز وجل وأنعم عليه ؟ . ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه ـ الذي على جسده ـ فيضعوه على عيني أبيه ، فإنه يرجع إليه بصره بعد ما كان ذهب بإذن الله .

فقال يوسف عليه السلام لإخوته :

ـ ﴿ **ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا** ﴾ [سورة يوسف الآية: ٩٣]

كانت هذه رسالة بعث بها يوسف ﷺ لأبيه مع إخوته .

ولكن كيف يرتد يعقوب ﷺ بصيرا عند وصول الرسالة إليه ؟

إن القميص يحمل لغة لا يدركها إلا قلب يعقوب ﷺ ، لا عجب في ذلك فهو قميص نبي مبعوث إلى نبي .

لا بد أن يبوح القميص بأشياء لا نفهمها ولكن يعقوب ﷺ يفهمها ويعجب المرء أنه بمجرد أن بدأ تحرك القافلة من مصر تحمل القميص استطاع يعقوب ﷺ أن يشم رائحة هذا القميص فيقول لأبنائه :

ـ ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[سورة يوسف الآية : ٩٤] .

أليست هذه من أسرار النبوة؟

فقد صبر يعقوب على ابتلائه وكانت المحن التي تعرض لها يعقوب ﷺ بدؤها مع القميص ، لقد حمل القميص نبأ الفجيعة إلى يعقوب ﷺ ، ولابد أن يحمل القميص نبأ البشري بوجود يوسف بين الأحياء .

وأخذ أبناءه يجادلونه في قوله ولا يصدقون مقولته ، وبينما هم كذلك إذ بالقافلة تصل ويلق القميص على وجهه ، فيحتضنه يعقوب ﷺ ، وتفتحت عيناه تلمع بالرؤية والإبصار والأهل لا يكادون يصدقون ما يرون ، وهز يعقوب رأسه وهو يقول : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾؟[سورة يوسف الآية: ٩٦]

لقد أحس أبناؤه أن إحساسه ﷺ والتواصل بينه وبين ابنه يوسف ﷺ كان ولا يزال موجودا وأن إخباره لهم بأن ابنه يوسف ﷺ لا يزال يعيش في عالم الأحياء كانت أخبار حق وأنباء صدق .

وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة يوسف الآية : ٦٨].

* * *

يوسف عليه السلام

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يوسف الآيات: ٤-٥].

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآيات: ٧-١٠]

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[سورة يوسف الآيات: ١٩-٢٠].

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[سورة يوسف الآيات: ٢٣-٢٨].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[سورة يوسف الآية: ٣٣].

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف الآيات: ٣٥-٤٢].

﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾[سورة يوسف الآية: ٧٧].

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بحقد إخوته عليه :

كان يعقوب عليه السلام له من البنين اثنا عشر ذكراً وكان يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين أحب إلى أبيهما من باقي إخوتهما .

وكان يعقوب عليه السلام يحمل في قلبه من الحب العظيم ليوسف عليه السلام مكانة كبيرة لما كان يراه فيه من شيم الصفات وفضائل النعوت وآداب الأخلاق .

كل هذه الظروف مجتمعة أدت إلى إضرام نار الحسد والبغض له من قبل باقي إخوته حيث كانوا يتعجبون من شدة حب أبيه له على الرغم من أنهم ليسوا بالعدد القليل كي يحرمهم من هذا الحب ، ويختص به يوسف دون سواه ويفضله عليهم.

ابتلاؤه عليه السلام بإلقائه في البئر:

ومرت الأيام وكلما كبر يوسف ربا حب والده له وازداد بغض وحسد إخوته له .

وكان يعقوب عليه السلام لا يصبر على فراق يوسف عليه السلام بعيداً عنه ولكن أبناءه راودوه في أخذ أخيهم ليفرجوا عنه ، داعين أنه سيلعب ويلهو ويمرح معهم، ولم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم ، فما كان إلا أن غابوا عن عينيه فأخذوا يهينونه ويسبونه .

ورحم الله القائل يحكي قسوة الإنسان لأخيه الإنسان :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير!!

ووصلوا إلى بئر في الصحراء ليتخذوها مسرحا تقام عليها أبشع جريمة تميد لها الأرض وتتحرك لها السماء .

ان تكون القسوة بين الإنسان وأخيه شيء فيه مرارة :

وظلم ذوي القربي أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

أن يتجمع الإخوة حول الصغير يفترسونه أمر يفوق قانون الوحوش في الغابات .

كيف تجرد البشر من مقومات الإنسانية وردائها ؟

كيف سولت لهم أنفسهم قتل الطفولة ؟

كيف هان عليهم وأد الحياة ؟

ومن قسوة الحجارة أو أشد أمسكت أيديهم بالفرخ الصغير ، وصرخ الغلام يلتمس النجاة ، ويبكي الصغير بحثا عن الحنان ، وتبرق عيناه بالحزن الدفين .

وكان العويل ، وكان الصراخ ، وكان الأنين .

ما أشد قسوة الإنسان على أخيه الإنسان ! .

هل يبست القلوب وجف نبع الحنان ؟

هل تنكروا لكل ما تعارف عليه البشر من ود وصلات ؟

هل تنكروا لكل ما عرفته الإنسانية من قيم وعادات؟

إن الوحوش في الغابة لتعرف للرحم صلاته وللقربى مودتها !

هل صار عالم الحيوانات المفترسة أكثر رحمة من بني الإنسان؟

حنانيك يا بئر .. كوني بيوسف أشد رحمة من إخوته وأكثر حناناً من بني جلدته ، وأشد شفقة من بني جنسه ، فبيننا وبينك يا بئر صلة رحم ، فكلنا من خلق الله وصنعه ، وكلنا لله ذاكر : ﴿ **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[سورة الإسراء الآية: ٤٤] . وتلك صلة رحم بين الموجودات والمخلوقات.

في قسوة نفوس وغلظة قلوب ألقوا أخاهم في غيابة الجب ، ولم يخشوا عليه ظلام البئر المخيف .

ألم يحسبوا لارتطامه بالصخر حساباً ؟

ألم يخافوا عليه من حيات البئر ولدغاتها ؟

أرأيت كيف استقبل البئر الضيف الكريم ؟

إن عناية السماء التي جعلت النار لجده إبراهيم برداً وسلاماً تدخلت فجعلت من الجب ملتقى وحي السماء ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[سورة يوسف الآية: ١٥]

كيف كان شعور يوسف وهو يتذوق لذة الاتصال بوحي السماء ؟

كم أعطاه من الأمن والأمان ؟ ، كم من جريمة ترتكب ويبدوا فيها الجاني في الكفة الأقوى ثم تنكشف الجريمة؟

ماذا يكون شعور الجاني حينئذ ؟

ماذا يكون شعوره وقد تغير الموقف، وأصبح القوي في موقف الضعيف يتردى ويتهاوى؟

يود الجاني حينئذ لو تسوى به الأرض ، ولا يواجه فعله الفاضح .

إن الحقيقة التي يتعمد الإنسان نسيانها وجحودها ستضطره في يوم من الأيام إلى

مواجهتها والإقرار بها في وقت لا ينفع فيه الندم .

إن الله يمهل الجاني وقت ارتكاب جريمته ولن يتركه حتى يفضحه على رؤوس الأشهاد

إن الوحي يطمئن يوسف أنه لا بد من لقاء إخوته يوما ما ، عندئذ يخبرهم بما فعلوا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[سورة يوسف الآية: ١٥] .

فكيف يلقونه يومئذ ؟ ليتهم يشعرون أو يحسون .

ابتلاؤه عليه السلام ببيعه في سوق الرقيق :

ظل يوسف عليه السلام في البئر ينتظر فرج الله ولطفه به ، يلفه الظلام وتحوطه الأشباح وخيال الطفولة يجسد الأشباح ويحركها ، ويجسم الأوهام ويشخصها ، ويقبع يوسف عليه السلام في البئر حزينا ، والكون من حوله كأنه فقد الحياة ، لا صوت هناك ولا حركة ، ويتعلق يوسف عليه السلام بالأمل .

هل تلعب الصدفة دورا لتنقذ الغلام ؟

أن يكون إنقاذ طفل مرهونا بصدفة أمر يجعل الأمل خيالا ويصخ الأذن في هذا الصمت الرهيب وقع أقدام من بعيد ربما كانت قافلة تجوب الصحراء ، أو تبحث عن الماء .

ما هذا ؟... إنه صوت جماعة من المسافرين . واستقبلت البئر حبلا يتدلى بالدلاء، أتى الفرج يا يوسف ؟

فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل، كيف تنساك العناية الإلـٰهية وقد جاءك وحي السماء ؟

وتعلق يوسف بأسباب النجاة ، ويرفع الوارد حبله ليفاجأ بالصيد الجديد ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ [سورة يوسف الآية: ١٩].

هل القدر يخرجه من ظلام البئر ليسلمه لسوق العبيد؟ ويُرَى يوسف بلا حرية يُساق كالرقيق بالقيد من حديد ؟ كم تساوي الحياة في سوق الرقيق ؟

ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ المسافرين له لحقوا بهم ، وقالوا لهم :

ـ هذا غلام آبق ـ هارب ـ منا .

فاشتروه منهم بثمن بخس ـ قليل ـ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٢٠] .

مسكين أنت يا يوسف .. هانت عليك الحياة وهنت في نظر الحياة ، فقد رأوا يوسف لا يساوي شيئا في سوق الرقيق ، رأى نفسه سلعة تعرض للمساومة

والتثمين ، بل لا يساوي إلا دراهم معدودة شأن كل رخيص ، وتخلص التاجر منه بالبيع الزهيد .

واشتراه من مصر العزيز ، وأسلمه زوجه بالقصر المشيد وأحس يوسف عليه السلام بالحب **يحيطه ليعيش مكرماً ومرفهاً في قصور الأثرياء .**

ابتلاؤه عليه السلام بإغراء زوجة العزيز :

كان الذي اشترى يوسف عليه السلام هو عزيز مصر والوزير بها ، الذي تكون الخزائن مسلمة إليه وكان يدعى **قطفير بن روحيب** ، وكان ذلك في زمن الملك **الريان بن الوليد** ملك مصر .

عهد عزيز مصر بيوسف إلى زوجته **زليخا** لترعاه وتكرمه لعلهما يتخذانه ولداً ـ لأنهما كانا لا ينجبان ـ .

وهكذا جعل الله له هذا العزيز وامرأته ـ **راعيل** ـ يحسنان إليه ويعتنيان به حتى بلغ أشده وبلغ مبلغ الرجال .

وكان يوسف عليه السلام شاباً بديع الجمال والبهاء ، فانجذبت إليه امرأة العزيز بكل جمالها ومالها كما تنجذب الفراشة الجميلة إلى النور.

وأخذ الشيطان يوسوس لها لتغري يوسف عليه السلام بفتنتها وتطارده بجمالها ، وشعرت امرأة العزيز أن حب يوسف ينبت في قلبها وينبض فى عروقها ويجري مع أنفاسها ، ولكن هل يحمل لها يوسف نفس المشاعر التي تحملها له ؟

نصبت راعيل ليوسف الفتنة ، لكنه غض بصره عن تلميحها ، لماذا لا ينظر محاسنها ورونق جمالها ؟

كيف يميل الكريم ابن الكريم ابن الكريم إلى محرم ؟ كيف تجنح نفسه إلى معصية ؟

وأشعل الشيطان نار الحب والهوى في قلبها ، ومن ثم فقد قررت أن تصل بالتصريح إلى ما لم تنله بالتلميح ، وأن تكون أجرأ على ما تطلب وأشجع فيما تريد، إنها لم تعد تطيق صبراً على إعراضه وصده .

وذات مساء ، تلفتت راعيل حولها ، وأحست بالسعادة عندما لم تقع عيناها على أحد من وصيفاتها فالكل في حجراته في هذا الوقت المتأخر من الليل ، والعزيز ذهب إلى ملك مصر ولن يعود قبل الصباح .

أسرعت امرأة العزيز نحو حجرة يوسف فوجدتها موصدة وقد أطفأ السراج لماذا لم تطرق الباب طرقات ناعمة ؟

هب يوسف من نومه وأشعل السراج ، وتقدم نحو الباب ، ولما فتحه رأى زليخا أمامه فتساءل في صوت مرتجف :

ـ ماذا هناك يا سيدتي ؟

حاولت أن تقول له :

ـ اتبعني .

ولكن صوتها ارتعش ولم يغادر شفتيها فأشارت إليه بيدها .

لبى يوسف عليه السلام سريعاً أمرها استجابة لها وجرياً على عادته في طاعتها ، فلما دخلت حجرة نومها .. وقف يوسف بباب مخدعها متردداً ، هل حدثه قلبه أن شيئا خطيرا سوف يقع ؟

رأت زليخا في عيني يوسف سحب القلق والخوف وعدم الاستجابة ، فقامت وجذبته من يده ودفعته برفق أمامها وغلقت الأبواب ،وأسدلت السجف ــ الستور ــ وأمسكت بيده ومالت نحوه ، فابتعد عنها ، فقالت له :

ـ هلم إليَّ يا يوسف .

لكن يوسف وإن كان في ريعان الشباب فقد رضع العفة والحكمة وترعرع في كنف نبي الله يعقوب عليه السلام .

ابتعد يوسف خطوات ، فقالت راعيل :

ـ ما هذا يا يوسف ؟ لم تبتعد عني وأنا أذوب شوقا إليك؟

قال يوسف عليه السلام :

ـ معاذ الله أن أجيبك إلى ما تريدين ، أو أذعن إلى ما تطلبين ، وحاشاي أن أخون مولاي العزيز وهو الذي أحسن مثواي وأكرم مأواي وما أنا بمنكر للنعمة ولا بجاحد للجميل .

همس الشيطان في أذن راعيل وقال لها : قولي له :

ـ لقد غلقت الأبواب وأسدلت الحجب.

فلما سمع يوسف قولها قال :

ـ إن كنت قد غلقت الأبواب ، وأسدلت الحجب فإن السميع البصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وحاشاي أن تطاوعني نفسي لمعصية أو أن يستجيب قلبي إلى ما فيه غضب الله إنه لا يفلح الظالمون .

اقتربت امرأة العزيز خطوة وأخرى وقالت :
- يا يوسف ما أحسن صورة وجهك.
قال يوسف الصديق :
- في الرحم صورني ربي .... التراب يأكله.
قالت راعيل :
- يا يوسف ما أحسن شعرك.
قال يوسف :
- هو أول شيء يبلى مني في قبري.
قالت امرأة العزيز :
- يا يوسف ما أحسن عينيك.
قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم :
- بها أنظر إلى ربي .. وهما أول ما يسيل في الأرض من جسدي.
قالت راعيل :
- يا يوسف ، ارفع بصرك فانظر إلى وجهي.
قال يوسف :
- إني أخاف العمى في آخرتي .
قالت راعيل :
- يا يوسف أدن - أقترب - منك وتتباعد عني !
قال يوسف :
- أريد بذلك القرب من ربي .
أشارت امرأة العزيز نحو مخدعها وقالت :
- يا يوسف ، القيطون فرشته لك فادخل معي.
قال يوسف :
- القيطون لا يسترني من ربي .
قالت راعيل :
- يا يوسف فراش الحرير قد فرشته لك قم فاقض حاجتي .
قال يوسف :
- إذاً يذهب من الجنة نصيبي .
قالت راعيل :

ـ لقد أنحلت جسدي بجمال وجهك .

قال يوسف :

ـ الشيطان يعينك على ذلك.

امرأة العزيز في سطوتها وعزتها وجمالها ودلالها ، تدعو فتى من فتيانها ، بل واحداً من خدمها فيأبى ويمتنع ويستكبر ويستعصم ، وهي الآمرة الناهية في قصرها؟ والسيدة المطاعة في خدمها وحشمها ؟ إنها عظيمة لا يتحملها كبرياؤها وكبيرة لا تسيغها نفسها .

اشتد غضب زليخا وهاج هائجها فهمت به بطشا وأرادت به سوءاً انتقاماً لعزتها المضاعة ، فهم أن يقابل الشر بالشر والضرب بالضرب ولكنه أحس إشراق النبوة في نفسه ورأى صورة أبيه يعقوب قائما في البيت قد عض على إصبعه يقول:

ـ يا يوسف تواقعها .. فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب ، ومثلك إذا واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه

ورأى يوسف أن الفرار خير فمضى مسرعا نحو باب غرفة امرأة العزيز فهمت راعيل وراءه عَدْواً حتى أمسكته من قميصه وجذبته .

وما انتهي يوسف إلى الباب حتى رآه العزيز واقفا وقميصه ممزقا ، كان موقفا يبعث على الريبة ـ الشك ـ ويثير الاهتمام ، وعاد الشيطان فأجمع كيدها ومكرها ، ولجأ يوسف إلى صراحته وصدقه .

قالت راعيل:

ـ إن يوسف لم يرع حرمتك ، ولم يحفظ يدك ، إنه حاول أن يدنس ثوبي ، وراودني عن نفسي.

يا لله ، ويا لهول ما أنت فيه يا يوسف ، مسكين أنت يلاحقك الظلم وكيد الشيطان ، فهذه امرأة العزيز لم يكفها الاتهام ، بل راحت تنصب من نفسها جانبي الادعاء والقضاء قائلة :

ـ ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة يوسف الآية: ٢٥] .

ووقف المتهم البريء ينفي عن نفسه طلب الفاحشة بل إن أدبه النبوي يأبى أن يفصح عن الفاحشة باللفظ المكشوف ، فراح يعبر عن نداء الجسد بالمراودة وذلك من إعجاز القرآن الكريم ولطائفه ، ويأبى يوسف إلا أن يسمو ويرقى حتى في تعبيره عن طلبها الفاحشة فجعلها مراودة ، وهي توحي بما يرد التعبير عنه في حياء الأتقياء ، وأدب الأنبياء .

فلم يجد يوسف ملجأ إلا الصراحة في القول والإعتراف بالواقع ، إذ كانت جريئة في الكذب ، جريئة في البهتان فقال :

- هي التي راودتنى عن نفسي ، وجذبت ثوبي العفيف ، وهذا قميصي شاهد على صدق دعواي .

إن زليخا تعرف كيف يجثو - يركع - العزيز أمام جمالها الطاغي؟ ، ومع ذلك فإنها تدعي أنها صادقة ، ويوسف يزعم أنه بريء .

أيهما الصادق ؟

أيهما الكاذب ؟

لابد أن أحدهما خاطئ والآخر مفترى عليه .

من يحسم القضية ؟

مسكين يا يوسف !! .

الظلم يلاحقك ، فمن يثبت براءتك ولم يكن من البشر أحد معكما عند المراودة وليس مع يوسف أحد يبرئه ، ولابد من شاهد . ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٢٦].

لقد حدثت المعجزة ، شاهد من أهل امرأة العزيز فحسم بشهادته القضية فَعُلِمَ الصادق من الكاذب .

من هذا الشاهد ؟ ماذا رأى ؟ هل جاء مع العزيز ؟

إنه طفل في المهد تكلم .

ماذا قال هذا الطفل ؟

قال شاهد يوسف:

- ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[سورة يوسف الآيات: ٢٦-٢٧]

القميص خير شاهد ، القميص لا يعرف الكذب ، القميص هو الدليل المادي القاطع

قال الصادق المصدوق ﷺ : **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج**(رواه الإمام احمد وأخرجه البخاري عن أبى هريرة).

أسرع العزيز ينظر فلما رأى قميص يوسف **قُدَّ من دبر** ، سطعت شمس الحقيقة ووضح الحق وظهرت براءة يوسف .

لقد استطاع القميص أن يصرخ وأن يتكلم بالحقيقة ، وأن يكشف الكذب الذي باءت به امرأة العزيز ويفضح بهتانها .

أجل ... صرخ القميص بالحقيقة ، وكانت صرخته هي شقه من الخلف .

التفت العزيز نحو امرأته وقال لها :

- ﴿ **إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [سورة يوسف الآية: ٢٨] .

ثم أردف :

- استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين .

والتفت العزيز نحو يوسف وقال له :

- وأنت يا يوسف اربط لسانك عن الخوض في هذا الحديث - فإنها قضية سياسية خشية أن تشيع القالة وينتشر الحديث بين الناس - .

كل ذلك لأن يوسف عليه السلام نبي من سلالة الأنبياء ، فعصمه الله ﷻ من الفحشاء ، وحماه من مكر النساء ، فهو سيد السادة النجباء وأحد الذين يظلهم الله ﷻ في ظل عرشه الكريم يوم لا ظل إلا ظله .

ابتلاؤه عليه السلام بفتنة النسوة :

بدأ نساء المدينة في الطعن فى امرأة العزيز وعيبها والتشنيع عليها ، لما علموا مراودتها لفتاها ، وحبها الشديد له ، وهو في نظرهن لا يساوي ذلك ، لأنه مولى من الموالي وليس مثله أهلا لذلك .

فلما سمعت امرأة العزيز بتشنيعهن عليها والتنقص لها ، والإشارة إليها بالعيب والمذمة بحب خادمها وعشق فتاها فأرادت أن تبسط ذراعها أمامهن ، وتبين لهن أن هذا الفتى ليس كما حسبن ، ولا من قبيل ما لديهن ، فأرسلت إليهن فاجتمعن في منزلها ، واعتدت لهن ضيافة ، وأحضرت في جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين كالأترج - البرتقال - ونحوه ، وآتت كل واحدة منهن سكينا وكانت قد هيأت يوسف عليه السلام ، وألبسته أحسن الثياب وهو في غاية الجمال وطراوة الشباب ، وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة ، فخرج عليهن وكأنه البدر .

فلما رأينه أعظمنه وأجللنه ، فما ظنن أن يكون مثل هذا في بني آدم، بل ملك كريم ، وبهرهن حسنه حتى اشتغلن به عن أنفسهن ، وجعلن يقطعن أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح .

وهكذا أقامت امرأة العزيز عذرها أمامهن لما رأته من تقطيعهن لأيديهن عند رؤيته ، وما ركبهن من المهابة والدهشة عند رؤيته ومعاينته ومن ثم فقد قالت امرأة العزيز :

- ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٣٢] .

إن هذا الأسلوب منها ليس على سبيل التهديد فقط ، بل هي أقدر على تنفيذه ، ويوسف عليه السلام يعرف ذلك جيداً.

وهنا نرى الحق والباطل يتباريان ويتناطحان ، لمن تكون الغلبة والفوز ؟

لقد بلغت الصفاقة مداها ، وأصرت امرأة العزيز على موقفها ، وهددته بالسجن والعذاب .

ما أشد ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، ليت الباطل يترك الحق وشأنه ، ولكن هيهات هيهات في دنيا الناس وفي الأرض حيث يوسوس لهم إبليس اللعين .

ثم قال عليه السلام :

- ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٣٣] .

ابتلاؤه عليه السلام بالسجن :

أصر الباطل على إخفاء الحقيقة ، ومنع الألسنة وبدلا من إظهار الحقائق والتحقيق في الموضوع ومجازاة الظالم راح الباطل يدبر الكيد للمظلوم فقرر العزيز وامرأته أن يدخلا يوسف عليه السلام السجن ، وأن يسجنوه إلى وقت ، ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية ، وأحمد لأمرها ، وليظهروا أنه راودها عن نفسها وعلى ذلك فقد سجن يوسف عليه السلام ظلما وعدواناً .

وكان ذلك مما قدر الله ، ومن جملة ما عصمه الله به ، فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم .

أي ذنب ارتكبه يوسف ، أو جنته يداه ؟

لقد سما بنفسه ، وعلا فوق الغرائز الدنيئة ، وآثر الحق وإرضاء ربه ، وحفظ سيده في شرفه وعرضه .

وهكذا يتنقل يوسف عليه السلام من ظلم إلى ظلم ، ومن شدة إلى أخرى ، من غيابة الجب إلى ذل القيد في سوق الرقيق إلى فتنة تزلزل أعتى الرجال لولا لطف الله ، إلى أن يُزَجْ به في السجن .

شرف لك يا يوسف أن تختم سلسلة معاناتك ومراحل جهادك بإيداعك في السجن . فلقد آثرت السجن واجتنبت المعصية بنفسك المجاهدة.

ودخل السجن مع يوسف رجلان أحدهما ساقي الملك واسمه **بنوا** والآخر خباز واسمه **مجلث** وكان الملك قد اتهمهما في بعض الأمور فسجنهما ، فلما رأيا يوسف عليه السلام في السجن أعجبهما سمته وشكله وطريقته ، وقوله وفعله، وكثرة عبادته لربه ، وإحسانه إلى خلقه .

ورأى كل منهما رؤيا تناسبه ، وقد رأياها في ليلة واحدة .

فأما ساقي الملك فرأى كأن هناك عناقيد عنب قد أورقت وأينعت فأخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاه ، **وأما الخباز** فقد رأى على رأسه ثلاث سلال من خبز ، وضواري الطيور تأكل من السلة العليا .

فقصاها عليه وطلبا منه أن يعبرها لهما لما رأيا فيه من الصلاح والتقوى ، فرد عليهما قائلا :

ـ أي حلم ترياه فأنا أعبره لكما قبل وقوعه فيكون كما أقول ، وإني قادر على أن أخبركما بما يأتيكما من طعام قبل مجيئه حلواً أو حامضاً ، إن هذا من تعليم الله إياي ، لأني مؤمن به موحد له ، متبع لملة آبائي الكرام إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ، ما كنا لنشرك بالله من شيء وهذا من فضل الله علينا أن هدانا لهذا ، وفضلا منه عز وجل على الناس لأنه أمرنا أن ندعوهم إليه ونرشدهم وندلهم عليه .

ثم دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل ، وصغر أمر الأوثان وحقرها ، وضعف أمرها ، موضحا لهم أن الله عز وجل هو المتصرف في خلقه الفعال لما يريد ، الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، أمرنا ألا نعبد إلا إياه لا شريك له ، ونتبع الدين القيم والصراط المستقيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا ولا يهتدون إليه رغم وضوحه وظهوره .

لقد كانت دعوة يوسف عليه السلام لهما في هذه الحالة اختياراً موفقًا للوقت الذي يدعوهما فيه وكانت في غاية الكمال ، لأن نفوسهما محبة له عليه السلام ، ممهدة لتلقي

ما يقول بالقبول ، فدعاهما إلى ما هو أنفع لهما مما سألاه عنه

ثم قام بما وجب عليه من تأويل رؤياهما قائلا:

- أما أحدكما فيسقي الملك خمرا - يقصد به الساقي - والآخر سيصلب وتأكل الطيور الجارحة من رأسه - يقصد به الخباز - وقد وقع هذا لا محالة ، ووجب كونه على كل حالة .

ولكنه ﷺ لم يقل أي أحدهما سيقتل وأي الآخر سيعيش فتركها هكذا رأفة بمن سيقتل .

ثم قال يوسف ﷺ لمن ظن أنه ناج منهما - وهو الساقي - :

- اذكر أمري وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك .

وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب ، ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب ﷻ.

ولكن الشيطان دائما ما يقف بابن آدم بالمرصاد فقد أنسى الناجي منهما ما وصاه به يوسف ﷺ ، وعلى هذا فقد لبث يوسف ﷺ في السجن بضع سنين - البضع هي الأعداد من ثلاثة إلى تسعة - .

وذات يوم رأى ملك مصر « **الريان بن الوليد** » رؤيا أفزعته ، فقد رأى كأنه على حافة نهر ، وقد خرج منه سبع بقرات سمان ، فجعلن يرتعن في روضة هناك ، فخرجت سبع بقرات هزال ضِعَافٍ من ذلك النهر ، فرتعن معهن ثم ملن عليهن فأكلنهن ، فاستيقظ مذعوراً . ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قبضة واحدة ، وإذا سبع سنبلات أخريات يابسات فأكلنهن فاستيقظ مذعورا .

فلما قصها على ملئه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها بل قالوا :

- إنما هي أخلاط أحلام في الليل ، لعلها لا تعبير لها ، ومع هذا فنحن لا خبرة لنا بهذا .

فتذكر ساقي الملك ما وصاه به يوسف ﷺ قبل خروجه من السجن وذلك عندما سمع رؤيا الملك ، ورأى عجز علية الناس عن تعبيرها .

فقال الساقي لقومه وللملك :

- أنا أنبئكم بتأويله ، فأرسلونى إلى يوسف في السجن .

فجاءه فقص عليه رؤيا الملك .

فبذل يوسف ﷺ ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط ، وأجابهم سريعا إلى ما سألوا قائلا :

- سوف يقع سبع سنين من الخصب ، ويعقبها سبعاً من الجدب ثم يأتي بعد ذلك عام فيه الكثير من الغيث والخصب والرفاهية .

فعبر لهم يوسف عليه السلام ، ودلهم على الخير ، وأرشدهم إلى ما يعمدون إليه في حالتي خصبهم وجدبهم ، وما يفعلونه من ادخار حبوب سني الخصب في السبع سنين الأول في سنبله ، إلا ما يرصد بسببه الأكل ، ومن تقليل البذر في سني الجدب في السبع الثانية .

ولما أحاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه السلام ، وتمام عقله ، ورأيه السديد ، أمر بإحضاره إلى حضرته ، ليكون من جملة خاصته ، فلما جاءه الرسول بذلك أحب يوسف عليه السلام ألا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلما وعدواناً وأنه برىء الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً .

فقال يوسف عليه السلام للرسول :

- ارجع إلى الملك فاسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فسيدي العزيز يعلم براءتي مما نسب إليَّ ، واسأل الملك أن يسألهن كيف كان امتناعي الشديد عن مراودتهن إياي ، وحثهن لي على الأمر الذي ليس برشيد ولا سديد ؟

فليس المهم عند يوسف خروجه من السجن ، ولكن المهم أن تثبت براءته على مرأى ومسمع من الناس وعلى رؤوس الأشهاد .

فاستدعى الملك النسوة وسألهن :

- ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ؟

وعلى مسمع من الجميع كانت إجابة النسوة :

- حاشا لله ، ما علمنا عليه من سوء .

وهكذا فإنه كان لابد للحق أن ينطق ، وجاء الحق وزهق الباطل .

ثم نطقت امرأة العزيز بالحقيقة قائلة :

- الآن ظهر الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين .

إن خير من يبرئ المتهم في ساحة العدالة أن يعترف المدعي ببراءته .

ووصلت الأخبار إلى يوسف عليه السلام يزفها إليه رسول الملك ، وخرج يوسف من السجن بعد ليل طالت ساعاته إلى بضع سنين ، ليل يحكي حصيلة الظلم الاجتماعي من القصر والحاشية ، ليل يحكي ظلم الإنسان للإنسان .

الآن طلعت الشمس وأشرقت وبددت سحب الظلام ، لقد انكشفت الحقيقة، وبدا ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وبني جنسه .

ويخرج يوسف من سجنه ليرى الحياة المشرقة بعد سنى العذاب لقد أضنته حياة الظلام والظلم .

ولما خرج يوسف ﷺ من السجن كتب على بابه : هذا قبر الأحياء ، وشماتة الأشلاء ، وتجربة الأصدقاء.

ويشم يوسف عبير الحياة ، وترى عيناه النور ، ويملأ صدره عبير الحرية ، تلك الحرية التي حرمها منذ أن خرج من بيت أبيه النبي يعقوب ﷺ .

ويخطو يوسف ﷺ على درب الزمن لتحركه الأحداث من طور إلى طور .

ابتلاؤه عليه السلام باتهامه بالسرقة :

لما ظهر للملك براءة ساحة يوسف ونزاهته قال للملأ من حوله :

ـ ائتوني به أستخلصه لنفسي .

ليجعله من خاصته ، ومن أكابر دولته ، ومن أعيان حاشيته ، ولما كلمه وسمع مقالته وتبين له حاله قال له :

ـ إنك الآن ذو مكانة وأمانة بيننا .

فطلب منه يوسف ﷺ **أن يوليه النظر فيما يتعلق بمخازن الحبوب** وخصوصا القمح لما يتوقع من حدوث الخلل فيها بعد مرور سنى الخصب لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه .

وعندما جاء إخوته إليه ليمدهم بالطعام وطلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم وجاءوه ببنيامين ، ودخل عليه فأخبره سراً أنه أخوه ، واحتال يوسف في أخذه ، فأمر فتيانه بوضع سقايته التي كان يشرب فيها ويكيل بها للناس الطعام عن غرةٍ في متاع بنيامين ، ثم أعلمهم بسرقة صواع الملك ، وأمر فتيانه بالتفتيش والبحث عن السقاية في رحلهم أجمعين .

ثم أخرجها من رحل بنيامين فوقفوا مشدوهين ، فأمر يوسف بأخذ بنيامين ـ كان في شريعتهم أن السارق يدفع به إلى المسروق منه ـ وعندما وجد إخوته ذلك قالوا :

ـ ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٧٧]

وكانوا يقصدون بذلك يوسف ﷺ ، حيث كان وهو صغير محبوبا من جميع أفراد عائلته ، وكان ذات يوم عند عمته فعلقت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لإسحاق ، ثم استخرجوها من بين ثيابه ، وهو لا يشعر بما صنعت ، وإنما

أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لمحبتها له

ولكن تلك العبارة من إخوة يوسف أثرت كثيرا في يوسف عليه السلام لما يتهمونه به .

قالوها في غيبة يوسف على حد تفكيرهم ، قالوها ولم يدروا أن الذي يخاطبونه هو السارق في نظرهم .

أما يكفي ما فعلوه بيوسف من قبل؟ حتى راحوا يجترون الحقد عليه من جديد؟

وسمع يوسف كلمة القذف في حقه وأضمرها في نفسه ، ولم يظهر يوسف تأثره بكلامهم ، وهو يعلم براءته وبراءة أخيه ، وكان صمته ينطق بما تحدثه نفسه : ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٧٧] إن يوسف لم يقذفهم بهذا ، ولكنه أسرها في نفسه .

* * *

لله أنت يا يوسف ! تحملت الكثير من إخوتك حتى القذف في حقك ، تلقيته حاضرا وأسررت ذلك في نفسك تأدبا وترفعاً .

إن لحظة واحدة يعيشها الصغير في ظلام الجب تُشرب النفس مرارة ، والقلب لوعةً وأسى ، أن يفقد الإنسان حريته ، ويباع رقيقا في سوق العبيد أمر يفوق الوصف والاحتمال .

أن يُفتَن يوسف عليه السلام بامرأة العزيز أمر كان فيه من البلاء والابتلاء الكثير ، أن يعيش الإنسان وراء القضبان سبع سنين ظلماً أمر فوق الاحتمال . أن يتهم الإنسان بالسرقة من أعز أحبائه أمرٌ لو وضع على الجبال لمادت به الأرض .

ولكن ... هذه هي قلوب الأنبياء .

لا تعرف إلى الحقد طريقاً ، ولا إلى الغل سبيلاً ، ألم يؤثر في نفس يوسف ما تعرض له بسبب إخوته في الجب وإسار عبوديته وفتنة امرأة العزيز وظلام السجن ؟!.

أَكُل هذه الرحلة ، وهذه المعاناة لم تترك بصمات وآثاراً فى قلب يوسف ولم تؤثر في نفسه ؟ ويا ليت كل هذا لم يكن له تأثير فقط في نفسه ، بل راح يتولى غسل قلب أخيه إن علق به ما يضمره لأخوته من سوء أفعالهم .

لقد سما يوسف عليه السلام فوق الحقد والغضب ، وهما صفتان خبيثتان ينأى عنهما ذووا المروءات .

كما قال عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

أيوب عليه السلام

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص الآيات : ٤١-٤٤]

* * *

هو أيوب بن موحي بن رزاح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم جميعا أفضل صلاة وأزكى تسليم .

وزوجته هي ليا بنت منسا بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

ابتلاؤه عليه السلام في صحته وأمواله وأولاده :

كان أيوب عليه السلام رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي ، والأراضي المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران ، وكان له أولاد وأهلون كثير .

فسلب منه ذلك جميعه ، وابتلي في جسده بأنواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى **قلبه ولسانه** ، يذكر الله عز وجل بهما ، وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكراً لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه .

وطال مرضه وعندما اشتد عليه البلاء قالت له زوجته :

ـ يا أيوب ، لو دعوت ربك لخفف عنك .

قال لها أيوب عليه السلام :

ـ قد عشت سبعين سنة صحيحًا ، فهل قليل أن أصبر له سبعين سنة ؟

ابتلاؤه عليه السلام بمقولة أخويه :

كان لأيوب عليه السلام أخوان ، فجاءا يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه ، فقاما من بعيد ، فقال أحدهما لصاحبه :

ـ لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه.

فجزع أيوب عليه السلام من قولهما جزعاً لم يجزع مثله من شيء قط .

فقال أيوب عليه السلام :

ـ اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني .

فصدق من السماء وهما يسمعان .

ثم قال عليه السلام :

ـ اللهم إن كنت تعلم أني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عارٍ فصدقني.

فصدق من السماء وهما يسمعان .

ثم قال عليه السلام :

ـ اللهم بعزتك ـ وخر ساجداً ـ اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني .

فما رفع رأسه حتى كشف عنه .

ابتلاؤه عليه السلام بابتلاء زوجته :

كانت زوجة أيوب عليه السلام نعم الزوجة التي وقفت بجوار زوجها في شدته ولم تنس إنعامه عليها في يسره ونعمته .

وقيل:

إن أيوب عليه السلام حلف أن يضرب زوجته لأنها جاءت ومعها الشيطان ـ عرض لها في صورة طبيب وزعم لها أنه سيصف دواء لأيوب ـ فلما رآه أيوب عليه السلام عرفه فأقسم أن يضرب زوجته مائة سوط .

وكان أيوب عليه السلام يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن :

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة ص الآية: ٤٢] .

ولما جاءت زوجته فاستبطأته ، وأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان ، فلما رأته قالت :

ـ أي بارك الله فيك ! هل رأيت نبي الله هذا المبتلي ؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إن كان صحيحاً .

فأخبرها أنه أيوب عليه السلام ، فلم تصدقه ، فقام إليها ليضربها كما استوعد لها ، فصدقت قوله .

ولما عافاه الله ﷻ أفتاه أن يأخذ ضغثاً وهو كالعثكال ـ العود الذي يجمع العيدان التي تحمل البلح أو التمر ـ الذي يجمع الشماريخ ـ قطعة كأنها السواك حجما وطولاً ـ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنث .

وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة ، المكابدة الصديقة البارة الراشدة.

وأخلف الله ﷻ عليه أهله وماله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب ، فجعل يأخذ منه بيده ويجعل فى ثوبه فقيل له: يا أيوب أما تشبع ؟ قال : يا رب ومن يشبع من رحمتك ؟**

* * *

ذو الكفل عليه السلام

ابتلاؤه عليه السلام بتكلفه أمر قومه :

تكفل ذو الكفل عليه السلام لبني قومه أن يكفيهم أمرهم ، ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل .

لما كبر اليسع عليه السلام قال :

ـ لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل لهم في حياتى ، حتى أنظر كيف يعمل.

فجمع الناس ثم قال :

ـ من يتقبل منى بثلاث أستخلفه : يصوم النهار، ويقيم الليل ، ولا يغضب .

فقام رجلٌ تذدريه العين ، فقال :

ـ أنا .

فقال له اليسع عليه السلام :

ـ أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب ؟

قال ذو الكفل :

ـ نعم .

فرده اليسع عليه السلام ذلك اليوم .

ثم قال مثلها في اليوم الآخر ، فسكت الناس ، وقام هو فقال :

ـ أنا .

فاستخلفه اليسع عليه السلام على قومه .

ابتلاؤه عليه السلام بالشيطان :

عندما تكفل ذو الكفل عليه السلام بقومه جعل إبليس يقول للشياطين :

ـ عليكم به .

فأعياهم ذلك .

فقال لهم إبليس :

ـ دعوني وإياه .

فآتاه في صورة شيخ كبير فقير ، وآتاه حين أخذ مضجعه للقيلولة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ، فدق الباب ، فقال ذوالكفل عليه السلام :

ـ من هذا ؟

قال إبليس اللعين :

ـ شيخ كبير مظلوم.

فقام ذو الكفل عليه السلام ففتح له الباب ، فجعل إبليس يقص عليه قائلا:

ـ إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا .

وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القيلولة .

فقال له ذو الكفل عليه السلام :

ـ إذا أتيتني في مجلسي أخذت لك بحقك .

فانطلق ذو الكفل عليه السلام حتى إذا كان في مجلسه ، جعل ينظر هل يرى الشيخ؟ فلم يره ، فجعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القيلولة وأخذ مضجعه آتاه إبليس عليه لعنة الله فدق عليه الباب .

فقال ذو الكفل :

ـ من هذا ؟

فقال إبليس اللعين :

ـ الشيخ الكبير المظلوم.

ففتح له ، ثم قال له ذو الكفل عليه السلام :

ـ ألم أقل لك إذا أخذت مجلسي فأتني ؟

فقال له إبليس اللعين :

ـ إنهم أخبث قوم ، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقك ، وإذا قمت جحدوني .

فقال ذو الكفل عليه السلام :

ـ فانطلق فإذا أخذت مجلسي فأتني .

ففاتته القيلولة هذا اليوم أيضا .

ثم كان الغد فأخذ مجلسه ونظر هل يرى الشيخ ؟ فلم يره .

فقال ذو الكفل عليه السلام لبعض أهله بعد أن ترك مجلسه :

ـ لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شق عليَّ النوم .

فلما كان ساعة القيلولة جاءه إبليس فقال له الرجل :

ـ لا والله ، لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه .

فلما أعيا ذلك إبليس نظر فرأي كوة في البيت فتسور منها ، فرأى ذو الكفل عليه السلام في البيت .

فنظر ذو الكفل عليه السلام فرآه فسأل الرجل :

ـ ألم آمرك ألا يدخل أحد ؟

قال الرجل :

ـ أما من قبلي والله فلم يدخل ، فانظر من أين أتاك ؟

فقام ذو الكفل عليه السلام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه والرجل معه في البيت ، فعرفه ذو الكفل وقال له :

ـ أعدو الله ؟

قال إبليس اللعين :

ـ نعم ، أعييتنى في كل شيء ففعلت ما ترى لكي أغضبك .

فسماه الله عز وجل ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوفى به .

* * *

يونس عليه السلام

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [سورة يونس الآية: ٩٨].

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [سورة الصافات الآيات: ١٣٩-١٤٦] .

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

بعث الله ﷻ يونس بن متى ﷺ إلى أهل نينوى من أرض الموصل بالعراق ، فدعاهم إلى الله ﷻ ، فكذبوه وتمردوا عليه وأظهروا له كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب عليهم بعد ثلاث .

فلما خرج من بين أظهرهم ، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله ﷻ في قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم مع نبيهم ، فلبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم هرعوا إلى الله ﷻ ، وصرخوا وتضرعوا إليه، وتمسكنوا إليه ، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات ، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها وثغت الغنم وحملانها وكانت ساعة عظيمة هائلة .

فكشف الله العظيم بحوله وقوته ، ورأفته ورحمته ، عنهم العذاب الذي كان سوف يقع عليهم .

ابتلاؤه عليه السلام بإلقائه في اليم والتقامه بالحوت :

لما ذهب يونس ﷺ مغاضبا من قومه ، ركب سفينة في البحر ، فاضطربت بهم وماجت بهم وثقلت بما فيها ، وكادوا يغرقون .

فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا ، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه .

فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به ، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضا ، فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه ، فأبوا عليه ذلك ، ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضا لما يريده الله به من الأمر العظيم .

ولما وقعت القرعة عليه أُلقيَ به في البحر ، وبعث الله ﷻ حوتاً عظيماً فالتقمه وأمره الله ﷻ أن لا يأكل له لحما ، ولا يهشم له عظماً فهو ليس له برزق ، فأخذه فطاف به في البحار كلها .

ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات ، فحرك جوارحه فتحركت ، فإذا هو حي ، فخر لله ساجداً وقال :

ـ يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحد في مثله .

وأخذ الحوت يطوف به في قرار البحار ، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن ، وسمع تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى ، ورب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى ، فعندئذ ﴿ **فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٨٧].

وهذه هي الظلمات الثلاث ، ظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

فأمر الله ﷻ الحوت فقذفه في الساحل وهو بعد هزيل سقيم ، كان ذلك بعد استغفاره ربه لعدم صبره على قومه في دعوته لهم وبعد أن لبث في بطن الحوت مدة لا يعلمها إلا الله ﷻ .

فقذفه الحوت في مكان قفر وهو بعد هزيل ، فأنبت الله ﷻ عليه شجرة من يقطين ـ القرع ـ ذات أوراق عريضة ، وسخر الله ﷻ له أروية ـ أنثى الوعل ـ كانت ترضعه لبنها وترعى في البرية وتأتيه بكرة وعشية .

* * *

موسى عليه السلام

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[سورة القصص الآية : ٤] .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝ ﴾ [سورة القصص الآيات: ٧-٨] .

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾[سورة طه الآيات : ٢٤-٢٨]

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة القصص الآية: ١٥] .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة القصص الآية : ٢٣]

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة القصص الآيات: ٢٩-٣٠]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [سورة الإسراء الآية: ١٠١] .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [سورة طه الآيات : ٦٦-٦٧] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧-١٢٩] .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٣٦] .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة الآيات: ٢٠-٢٦] .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٥٩) ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٦١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [سورة البقرة الآيات: ٥٥-٦٥]

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦١] .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٣]

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٨] .

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٥٥] .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦٧] .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾
[سورة الكهف الآيات : ٦٥-٦٦]

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بإلقائه في اليم :

تجبر فرعون وعتى ثم طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ، وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يحفظونه من أحاديث السلف عن إبراهيم ﷺ ، من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه ، وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل ، فتحدث بها القبط فيما بينهم ، ووصلت إلى فرعون .

وفي ذات ليلة رأي فرعون في منامه ، كأن ناراً أقبلت من نحو بيت المقدس ، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ، ولم تضر بني إسرائيل ، فلما استيقظ هاله ذلك ، فجمع الكهنة والسحرة ، وسألهم عن ذلك ، فقالوا :

ـ هذا غلام يولد في بني إسرائيل ، يكون سبباً في هلاك أهل مصر على يديه.

لذا فقد أمر فرعون بقتل الأولاد وترك النسوة ، حتى جعل رجالا يمرون على الحبالى ، يعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته .

ثم إن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل ، بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشوا أن يتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يقومون بالخدمة والأعمال التي كان بنو إسرائيل يقومون بها ، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً ، ولذا فإن هارون ﷺ أخي موسى ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء ، وأن موسى ﷺ ولد في عام قتلهم ، فضاقت أمه به ذرعاً ، وأخذت الحيطة في أمرها ، ولم يكن يظهر عليها مخايل الحمل ، فلما وضعت ألهمها الله ﷻ أن تتخذ له تابوتا ، ربطته في حبل وكانت دارها قريبة من النيل ، فكانت ترضعه ، فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت ، فأرسلته في البحر ، وأمسكت طرف الحبل عندها ، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به .

فأرسلته في اليم ذات يوم ونسيت أن تربط طرف الحبل عندها فذهب مع النيل فمر على دار فرعون فالتقطته بعض الجواري وهو في تابوت مغلق ، فلم يتجاسرن على فتحه ، حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية **بنت مزاحم** .

ابتلاؤه عليه السلام بتربيته في بيت فرعون :

عندما أخذت آسية التابوت وفتحته ، وكشفت الحجاب ، رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية ، فأحبته حبا شديداً ، فلما جاء فرعون قال :

ـ ما هذا ؟

فأمر بذبحه ، فاستوهبته آسية منه ودافعت عنه وقالت :

﴿ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** ﴾[سورة القصص الآية : ٩]

فقال لها فرعون :

ـ أما لك ، فنعم ، وأما لي فلا ـ أي لا حاجة لي فيه ـ.

وقد أنالها الله ﷻ ما رجت لأنها قالت:

ـ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾[سورة القصص الآية : ٩]

أما في الدنيا فقد هداها الله به ، وأما في الآخرة فقد أسكنها الله جنته بسببه، وذلك لأنهما تبنياه ، لأنه لم يكن يولد لهما ولد .

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى لولا أن صبَّرها الله ﷻ وربط على قلبها وثبتها .

ثم قالت لأخته :

ـ اتبعي أثره ، واطلبي لي خبره عن بُعدٍ .

فجعلت أخته تنظر إليه وكأنها لا تريده .

وعندما استقر موسى ﷺ بدار فرعون أرادوا أن يغذوه بالرضاعة فلم يقبل ثديا ولم يأخذ طعاما ، فحاروا في أمره ، واجتهدوا في تغذيته بكل ممكن فلم يقبل ، فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق ، لعلهم يجدون من يوافق رضاعته ، فبينما هم وقوف به إذ قالت أخته :

ـ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟

قالوا لها :

ـ وما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه ؟

فقالت :

ـ رغبة في سرور الملك ورجاء منفعته .

فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم ، فأخذته أمه ، فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وذهب البشير إلى آسية يُعلمها بذلك ، فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها، وأن تحسن إليها فأبت عليها وقالت :

ـ إن لي بعلا وأولاداً ، ولست أقدر على هذا ، إلا أن ترسليه معي فأرسلته معها ورتبت لها رواتب ، وأجرت عليها النفقات والكسى والهبات ، فرجعت به تحوزه في حضنها وقد جمع الله شمله بشملها .

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى :

ـ أريني ابني .

فوعدتها يوما تزيرها إياه ، وقالت امرأة فرعون لخزانها وحجابها :

ـ لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة ، لأرى ذلك فيه

وأنا باعثة أميناً يحصي ما يصنع كل إنسان منكم .
فلم تزل الهدايا تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها أكرمته وفرحت به ، وأكرمت أمه لحسن أثرها عليه .
ثم قالت :
ـ لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه .
فلما دخلت به عليه جعله في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون فجذبها إلى الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون :
ـ ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه ؟ إن هذا الغلام يزعم أنه سيرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه .
فجاءت امرأة فرعون تسعى إليه ، فقالت :
ـ ما بدا لك من هذا الغلام الذى وهبته لي ؟
فقال فرعون:
ـ ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلوني ؟
قالت آسية :
ـ اجعل بينى وبينك أمراً تعرف به الحق ، ائت بجمرة ولؤلؤة فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤة واجتنب الجمرة عرفت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرة وترك اللؤلؤة علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرة على اللؤلؤة وهو يعقل .
فقرب فرعون إليه لؤلؤة وجمرة فأراد موسى أن يأخذ اللؤلؤة ولكن جبريل عليه السلام صرفه عنها ووضع الجمرة في يده ، فتناولها موسى عليه السلام ووضعها في فيه فأصابت لسانه بلثغة فأصبح فيه عوجٌ .
لذلك قال تعالى على لسان موسى : ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾ [سورة طه الآيات : ٢٧-٢٨]
عندما ذهب إلى فرعون ليدعوه فقال عنه :
ـ ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [سورة الزخرف الآية : ٥٢] .

ابتلاؤه عليه السلام بأقوال اليهود :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٦٩]

كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ، وكان موسى ﷺ يستتر كثيراً ويخفى بدنه.
فقال قوم :

ـ هو آدر ـ ليس له فى النساء ـ أو أبرص أو به آفة .

فانطلق ﷺ ذات يوم يغتسل فى عين بأرض الشام ، وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى عريانًا وهو يقول :

ـ ثوبى حجر ، ثوبى حجر.

حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فنظروا إليه وهو من أحسنهم خلقاً ، وأعدلهم صورة ، وليس به الذى قالوا.

فهذا قوله تعالى : ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾.

ثم طفق موسى ﷺ ضرباً على الحجر حتى إنه ليرى فيه ستة أو سبعة ندبٌ من أثر ضرب موسى ﷺ له .

ابتلاؤه عليه السلام بقتل القبطي :

ولما بلغ موسى ﷺ أشده ، وبلغ مبلغ الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يستطيع أن يتكبر على أحد من بني إسرائيل أو يخلص إليه بظلم أو سخرية .

وذات يوم دخل موسى ﷺ المدينة في منتصف النهار فوجد فيها رجلين أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي يتضاربان ويتصارعان ، فاستغاثه الإسرائيلي على عدوه ، حيث أن موسى ﷺ كان له بديار مصر صولة ، بسبب تبني فرعون له وتربيته في بيته ـ كان يعرف بابن فرعون ـ وكانت بنو إسرائيل قد عزوا به وصارت لهم مكانة ، وارتفعت رؤوسهم بعد أن أرضعوه ، وصاروا أخواله من الرضاعة ، فلما استغاث الإسرائيلي موسى ﷺ على ذلك القبطي أقبل إليه موسى فوكزه بعصا كانت معه أو قيل : طعنه بمجمع كفه فمات في الحال .

وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركا بالله العظيم ، ولم يُرد موسى قتله بالكلية، وإنما أراد زجره وردعه .

ومع هذا فقد لام موسى ﷺ نفسه على هذا العمل ووصفه بأنه من عملٌ الشيطان لأنه للإنسان عدوٌ مبين .

فأصبح موسى ﷺ يسير بالمدينة خائفا من فرعون وملأه أن يعلموا أن هذا

القتيل الذي رُفِعَ إليهم أمره ، إنما قتله موسى في نصرة رجلٍ من بني إسـرائيل ، فتقوى ظنونهم أن موسى من بني إسرائيل ، ويترتب على ذلك أمر عظيم .

فصار يسير وهو يتلفت حوله ، فبينمـا هـو كـذلك ، إذا بـذلك الإسـرائيلي يستصرخه ويستنصره مرة أخرى ، فعنفه موسى على كثرة شره ومخاصمته ، ثم أراد موسى عليه السلام أن يخلص بينهما ويفـض النـزاع ، وعنـدما حـاول أن يقـترب منهم ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لأنه يسبب له المشـاكل ويُـدِرَ عليـه الخصومة من قبل القبط فقال لموسى :

ـ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟

فعلم القبطي أن قتيل الأمس إنمـا قُتِـلَ بيـد موسـى ، انطلـق إلى فرعـون واستعداه على موسى .

ولما بلغ فرعون أن موسى هـو قاتـل ذلـك المقتـول بـالأمس ، أرسـل في طلبه، فسبقهم رجلٌ ناصح مشفق على موسى وقال له :

ـ إن فرعون وملأه يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج من هذه البلدة ، إني ناصحٌ لك فيما أقول .

ابتلاؤه عليه السلام بترك مصر والهجرة إلى مدين :

عندما علم موسى عليه السلام أن فرعون وملأه يأتمرون به خرج من مصر من فوره وهو لا يعلم الطريق ، ولا يعلم أين يتجه ؟

غير أنه عليه السلام توجه لله عز وجل بقلبه قائلا :

ـ رب نجنى من القوم الظالمين .

فسار في طريق لا يعرف إلى أين ينتهي حتى انتهـى إلى مدينـة مـدين فوجـد عندها بئراً ووجـد علـى البئـر رجـالا يسـقون أغنـامهم ، وامرأتـان تكفكفـان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس .

فسألهما قائلا:

ـ ما خطبكما؟

فقالتا :

ـ لا نقدر على ورد الماء إلا بعد صدور الرعاء ، وأبونا شيخ كبير لذا فـنحن اللاتي نسقي الأغنام .

كان الرعاء إذا فرغوا من سقي أغنامهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة،

فتجيء هاتان المرأتان بأغنامهما فتشرب الأغنام في فضل أغنام الرعاء ، فلما كان هذا اليوم ، جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده ، ثم استسقي لهما وسقي غنمهما ، ثم رد الحجر كما كان .

فسقى موسى عليه السلام لهما غنمهما ثم تولي فجلس في ظل شجرة ، فقد سار من مصر إلى مدين لا يأكل إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الحفاء ، وجلس في الظل عليه السلام وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة .

ابتلاؤه عليه السلام باستئجار شعيب عليه السلام له :

لما رجعت المرأتان إلي أبيهما استنكر سرعة رجوعهما ، فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه .

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء فقالت له :

- إن أبي يدعوك إليه ليجزيك أجر ما سقيت لنا أغنامنا .

فقام معها موسى عليه السلام حتى وصل إلى أبيها شعيب عليه السلام فسأله عن قصته، فأخبره خبره ، وما كان من أمره في خروجه من مصر فراراً من فرعون .

فقال له شعيب عليه السلام :

- لا تخف نجوت من هؤلاء القوم الظالمين بعد فرارك من بين أيديهم وخروجك من دولتهم .

وهنا همست إحدى البنتان في أذن والدها قائلة :

- يا أبت استأجره إنه خير من استأجرت فهو قويٌ أمين .

فسألها والدها قائلا :

- كيف عرفت أنه قويٌ أمين ؟

فردت عليه قائلة :

- إنه لقويٌ لأنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، وإنه أمين حيث أنك لما بعثتنى لدعوته سرت أمامه فقال لي : كوني من ورائي ، فإذا اختلف الطريق فاقذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق .

عندئذٍ قال شعيب عليه السلام لموسى:

- إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممتها عشرَ حجج فمن عندك وما أريد بذلك أن أشق عليك .

فرد عليه موسى عليه السلام قائلا:

ـ الأمر كما قلت ، فأيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ والله على مقالتنا سامع وشهيد .

ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين ، وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامة .

ابتلاؤه عليه السلام بالعودة إلى مصر :

بعد أن أتم موسى عليه السلام العشر سنين كان عليه أن يعود إلى مصر ليرى أهله فأعطاه شعيب عليه السلام ما ولد من غنمه هذا العام على غير لون أمها فخرج موسى عليه السلام بأهله ومعه الغنم ، وكان ذلك في ليلة مظلمة باردة ، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى الدرب المألوف ، وجعل يوري زناده فلا يري شيئا ، واشتد الظلام والبرد ، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تتأجج في الجانب الغربي من جبل الطور ومن ثم قال موسى عليه السلام لأهله :

ـ امكثوا ها هنا فإني قد رأيت نارا لعلي آتيكم منها بجذوة أو أستوضح من عندها عن معالم الطريق .

ولما قصد موسى عليه السلام إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها ، وجدها تتأجج في شجرة خضراء وكلما زاد اضطرام النار زاد اخضرار الشجرة ، فوقف موسى عليه السلام متعجبا .

وكان موسى عليه السلام مستقبلا القبلة ، وتلك الشجرة عن يمينه في جهة الغرب ، فناداه ربه بالوادي المقدس طوى ، فأمره أولا بخلع نعليه تعظيما وتكريما لتلك البقعة المباركة في تلك الليلة المباركة .

ثم أخبر الله عز وجل موسى عليه السلام أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيامة ، ثم سأله عز وجل عن عصاه وأمره أن يلقيها ، فألقاها موسى عليه السلام فإذا هي حية تجرى هنا وهناك ، وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون ، فلما رأى موسى عليه السلام عصاه قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصطك وتسير في سرعة الجان ولى هاربا منها ولم يلتفت ، فأمره الله عز وجل أن يمسكها فعادت إلى سيرتها الأولى .

ثم أمره الله عز وجل أن يدخل يده في جيب قميصه ، ثم أمره بنزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بيضاء من غير سوء .

وأمره الله ﷻ إن هو شعر بالخوف يسري في نفسه أن يضع يده على فؤاده فيسكن ذلك في جأشه .

ثم أمره الله ﷻ أن يذهب بهاتين الآيتين إلى فرعون وملأه ليدعوهم إلى عبادته وتوحيده ، ولكن موسى عليه السلام طلب من الله ﷻ أن يشد عضده بأخيه لأنه خاف أن يبطش به قومه بعد قتله للقبطي وكذلك فإنه خشي من لثغة لسانه أن تعوق حديثه مع فرعون فيقصر بذلك عن أداء رسالة ربه .

فأكرمه الله ﷻ واستجاب لطلبه بأن وافق على أن يُرْسِل معه هارون .

ابتلاؤه عليه السلام بتكذيب فرعون له :

أرسل الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ليدعوانه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وأن يفك أساري بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته، وأن يتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا ويتفرغوا لتوحيده ودعائه والتضرع إليه .

فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطغى ، ونظر إلى موسى عليه السلام بعين الازدراء والتنقص قائلا له :

ـ ألست أنت الذي ربيناه في منزلنا وأحسنا إليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر ؟ أولست أنت من قتل القبطي وفررت منا وجحدت نعمتنا ؟

فرد عليه موسى عليه السلام قائلا :

ـ لقد فعلت ذلك قبل أن يوحي إليَّ ربي وأنا بعد في الضلال ، وهل هذه نعمة تمنها عليَّ وأنا فرد واحد مقابل ما استخدمت فيه شعب بني إسرائيل بأكمله ، واستعبدتهم في أعمالك وخدمتك وأشغالك . .؟

ثم قامت مناظرة بين موسى عليه السلام وفرعون أقام فيها كليم الله على فرعون الحجج العقلية والمعنوية ثم الحسية ، حيث إن فرعون لعنه الله أظهر جحده بما صنع الله تبارك وتعالى وزعم أنه هو الإله ، وإنما قال ذلك وهو فيه معاند لأنه يعلم أنه عبد مربوب ، وأن الله ﷻ هو الخالق البارئ .

ثم تساءل فرعون :

ـ ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما ؟

فأجابه موسى عليه السلام قائلا:

ـ رب العالمين خالق هذه السماوات والأرض وما بينهما من رياح ومطر

ونبات وحيوان وغيرها التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ، ولابد لها من موجد ومحدث وخالق ألا وهو الله رب العالمين .

فقال فرعون لمن حوله على سبيل التهكم :

ـ ألا تستمعون لما يقوله ؟

فرد عليه موسى ﷺ وكأنه لا يسمع ما يقوله فرعون :

ـ إن الله الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد ، فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولا يحدث ذلك من غير محدث ، إنما أوجده وخلقه الله رب العالمين .

ومع كل هذا لم يستفق فرعون من رقدته ، ولا نزع من ضلالته ، بل استمر في طغيانه وعناده وكفره .

وعندما أقام موسى ﷺ الحجج على فرعون ، لم يبق له قول سوى العناد ، وعدل إلى استعمال سلطانه وسطوته قائلا لموسى ﷺ :

ـ لئن اتخذت إلـها غيرى لأجعلنك من المسجونين .

فعمد موسى ﷺ إلى استخدام الآيات فقال لفرعون:

ـ فماذا تفعل إذا جئتك بآية من عند الله ؟

قال له فرعون :

ـ أرني إياها إن كنت من الصادقين ؟

فألقى موسى ﷺ عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ولما رأى فرعون ذلك أخذه رهب عظيم وخوف شديد ، ثم أدخل موسى ﷺ يده في جيبه ثم استخرجها ، وهي كفلقة القمر تتلألأ نوراً يبهر الأبصار ، فإذا أعادها في جيبه واستخرجها رجعت على صفتها الأولى .

ابتلاؤه عليه السلام بمواجهة السحرة :

لم يؤمن فرعون بما رأى من آيات على يد موسى ﷺ ، وأظهر أن هذا كله سحر ، وأخذ رأي ملأه فأشاروا عليه بجمع السحرة ليبطلوا بأعمالهم آيات موسى ﷺ .

ثم قال فرعون لموسى :

ـ إن هذا الذي جئت به سحر ، وسنعارضك بمثله .

ثم طلب فرعون من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم ، ومكان معلوم .

وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس ، ولهذا قال :

ـ موعدي معكم يوم الزينة ـ وهو يوم عيد من أعيادهم ـ من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس ـ ليكون الحق أظهر وأجلى ـ .

فأرسل فرعون يجمع من كان في بلاده من السحرة ، وكانت مصر في ذلك الزمان مليئة بالسحرة ، فاجتمع منهم خلقٌ كثير .

وحضر فرعون وأمراؤه وأهل دولته وأهل بلده ، لأن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا جميعا قائلين :

ـ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين .

وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم ، وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل ، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه .

فجمع السحرة أنفسهم وقالوا فيما بينهم :

ـ إن موسى وأخاه هارون ساحران عالمان ، يريدان أن يجمعا الناس ليعرضوا قدراتهم ويثبتا لهم أنهما أقدر منا على السحر .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم قالوا لموسى عليه السلام :

ـ إما أن تلقي قبلنا وإما أن نلقي قبلك ؟

فرد عليهم موسى عليه السلام قائلا :

ـ بل ألقوا أنتم .

وكان السحرة قد عمدوا إلى حبال وعصي ، فأودعوها الزئبق وغيره من المواد التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيل للرائي أنها تسعى باختيارها ، وإنما هي في الحقيقة تتحرك بسبب تلك المواد ، فألقوا حبالهم وهم يقولون :

ـ بعزة فرعون إنّا لنحن الغالبون .

فسحروا أعين الناس بعصيهم وحبالهم ، وخاف موسى عليه السلام من الناس أن يفتتنوا بأفعال السحرة قبل أن يلقى عصاه، فأوحى الله عز وجل إليه :

ـ إنك أعلى منهم شأناً وأعظم منزلة ، فألق عصاك التي في يدك فإنها برهان مبين وآية جلية .

فألقى موسى ﷺ عصاه ، فصارت حية عظيمة ، فهرب الناس منها سراعاً، وأقبلت الحية على ما ألقى السحرة من حبال وعصي فجعلت تلقفه واحداً وراء واحدٍ في سرعة هائلة ، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها ، وأما السحرة فإنهم رأوا ما حيرهم في أمرهم وهالهم ، فعند ذلك **تحققوا أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة وإنما هو حق** لا يقدر عليه إلا الحق وكشف الله ﷻ عن قلوبهم غشاوة الغفلة ، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها القسوة ، وعندئذٍ أنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين ، وقالوا جهرة للحاضرين :

- آمنا برب موسى وهارون .

وعندما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأت لهم ، وتزخرفت لقدومهم لذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون الذي صرخ قائلا:

- آمنتم بموسى وأخيه قبل أن آذن لكم .

ثم تهدد وتوعد وأبرق وأرعد وكذب فأبعد قائلا:

- إن موسى كبيركم الذي علمكم السحر ، وإن هذا لمكر مكرتموه بالاتفاق معه أمام أهل المدينة لتخرجوهم من دينهم .

وهذا كله كذب وبهتان يعلمه كل ذي عينان تريان وعقل يعي ما يقال فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن موسى لم ير هؤلاء السحرة ولم يروه يوما من الدهر ، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟

ثم هو لم يجمعهم ، ولا علم له باجتماعهم ، حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من حواضر مصر والأطراف ، ومن المدن والأرياف .

ثم هدد فرعون السحرة إن هم استمروا في اتباع موسى أن يقطع أطرافهم من خلاف - يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والعكس - وليصلبنهم ويجعلهم مثلة ونكالاً حتى لا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل دولته .

فردوا عليه قائلين :

- إنا لن نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من الإيمان بالله تأكيدا لكل ما رأيناه من البينات والدلائل القاطعات ، فافعل بنا ما تشاء ، إنما عذابك لنا إنما يكون في هذه الحياة الدنيا ، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة صرنا إلى حكم الذي أسلمنا إليه .

ابتلاؤه عليه السلام وقومه بعذاب فرعون :

عندما رأى الملأ من قوم فرعون إسلام السحرة واتباعهم لموسى عليه السلام ، فبدأوا في تحريض فرعون على موسى عليه السلام ومن أسلم معه زاعمين له أن موسى ومن معه سيتركون عبادتك ـ يقصدون فرعون ـ ويذرون دينك .

فأجابهم فرعون قائلا :

ـ سنقتل أبناءهم ونبقي نساءهم أحياء لكي تكسر شوكتهم ونردهم إلينا .

وعندئذ طالب موسى عليه السلام قومه بالإستعانة بالصبر والصلاة وأن يكونوا متقين لتكون لهم العاقبة في الدار الآخرة .

فرد عليه بنو إسرائيل قائلين :

ـ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ـ بتقتيل أولادنا ـ .

وإنما فعل فرعون ذلك بقصد الإهانة والإذلال ، والتقليل لبني إسرائيل ، لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها ، ويتكبرون على القبط بها ، وكان القبط مع كل ذلك يحذرون ويخافون منهم .

ابتلاؤه عليه السلام وقومه بترك مصر والخروج منها :

استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيدهم ، فأذن لهم وهو كاره فتأهبوا للخروج له وإنما كان في نفس الأمر مكيدة بفرعون وجنوده ، ليتخلصوا منهم ، ويخرجوا عنهم ، واستعاروا من القبط شيئا كثيراً من الذهب وغيره فخرجوا بليل طالبين بلاد الشام ، فلما علم فرعون بذهابهم ضيق عليهم واشتد غضبه عليهم وجمع جنوده ليلحق بهم .

ولحق فرعون وجيشه ببني إسرائيل ، فأدركهم عند شروق الشمس ، وتراءى الجمعان ، فقالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام :

ـ يا موسى إنا لمدركون من فرعون وجيشه .

فهذا فرعون من خلفهم والبحر من أمامهم والجبال عن أيمانهم ويسارهم ، وشكوا ذلك لموسى عليه السلام فقال لهم :

ـ كلا لن يلحق بنا فرعون وجيشه ، إن معي ربي سيهدين .

ووقف موسى عليه السلام ومن معه أمام البحر فيقول ها هنا أمرت ، فحاول يوشع بن نون ـ كان فتى موسى عليه السلام وكان من سادات بني إسرائيل وعلمائهم ـ ، ومسلم آل فرعون أن يخوضوا البحر بأفراسهم فلم يفلحوا ،

فيعودوا إلى موسى ﷺ ويقولوا له: يا رسول الله فيقول موسى ﷺ :
ـ إنما ها هنا أمرت .
فلما تفاقم الأمر وضاق الحال ، واشتد الأمر ، واقترب فرعون منهم بجنوده وعدته ، فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وعند ذلك أوحى رب العرش الكريم إلى موسى الكليم :
ـ إن اضرب بعصاك البحر .
فلما ضربه انفلق بإذن الله ، فانفلق اثنا عشر فلقاً لكل سبط من بني إسرائيل فلق وكان فيها كالشرفات ليرى بعضهم بعضًا من خلالها فلما جاوزوه وخرج آخرهم منه ، وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ، ووفودهم عليهم .
فأراد موسى ﷺ أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه ، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه ، فأمره القدير العزيز أن يترك البحر على هذا الحال ، فلما انتهى فرعون إلى البحر هاله هذا المنظر العظيم ، فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم لأنه علم أن ذلك من فعل الله ﷻ وليس بفعله هو ، لكنه أظهر لجنوده تجلداً وحملته نفسه الكافرة وسجيته الفاجرة على أن يقول لقومه :
ـ انظروا كيف انحسر البحر لي لأدرك عبيدي الآبقين من يدي ، الخارجين على طاعتي وبلدي ؟
وجعل يخفي في نفسه عدم قدرته على اللحاق بهم ، ويرجو أن ينجو ، ولكن هيهات ، ويقدم تارة ويحجم تارات .
وتبدى جبريل ﷺ في صورة فارس يركب على فرسة فمر بين يدي فحل فرعون لعنه الله ، فحمحم الفرس إليها وأقبل عليها ـ الفرسة ـ ، وأسرع جبريل بين يديه فاقتحم البحر ، فلما رأته الجنود قد سلك البحر فاقتحموا وراءه مسرعين ، فتجمعوا في البحر أجمعين ، حتى هم أولهم بالخروج ، فعند ذلك أمر الله تعالى كليمه فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر ، فضربه فارتطم عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم إنسان .
فغرق فرعون عليه لعنة الله ، وجاءت الأمواج فجعلت تخفضه تارة وترفعه أخرى ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ، ماذا أحل الله بهم من

البأس العظيم والخطب الجسيم ؟

ثم شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون ، حتى قال بعضهم :

ـ إنه لا يموت .

فأمر الله ﷻ البحر فرفعه ، وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه ، ليتحققوا بذلك هلاكه ، ويعلموا قدرة الله عليه ، ليكون علامة لبني إسرائيل على معرفته ومشاهدة هلاكه .

ابتلاؤه عليه السلام برغبة قومه في اتخاذ إلـهٍ :

بعد أن نجى الله موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل ساروا فمروا على قوم يعبدون أصناماً على صورة بقر ، فسألوهم :

ـ لم تعبدونها ؟

فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ، ويسترزقون منها عند الضروريات ، فصدقهم بعض الجهال .

فسألوا كليم الله عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة ، فبين لهم موسى عليه السلام ما فيه هؤلاء القوم من الضلال ، ثم ذكرهم بنعم الله عليهم في تفضيله إياهم على أهل زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به إليهم من قبضة فرعون الجبار العنيد ، وإهلاكه إياهم وهم ينظرون ، وتوريثه ﷻ إياهم ما كان فرعون وملأه يجمعون من الأموال والذهب وما كانوا يعرشون ، ثم بين لهم كليم الله أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له ، لأنه الخالق الرزاق القهار .

ابتلاؤه عليه السلام برفض قومه دخول الأرض المقدسة :

لما انفصل موسى ومن معه من بني إسرائيل من بلاد مصر واتجهوا إلى بلاد المقدس فوجدوا فيها قوما من الجبارين من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم .

فأمر موسى عليه السلام بنى إسرائيل بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلائهم عن بيت المقدس ، فإن الله ﷻ قد كتب عليهم ذلك ، ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم عليهما السلام. ولكن بنو إسرائيل خافوا من ذلك وألقى الله ﷻ الرعب في قلوبهم ، وقد كان ذلك لما عاينوه من الذل على يد فرعون وقومه فأبوا أن يخرجوا لقتالهم قائلين :

ـ يا موسى إن هذه الأرض مليئة بالقوم الجبارين الذين لا قوة لنا بقتالهم .

فقال يوشع بن نون عليه السلام وكالب بن يوقنا لهم :

ـ إذا استعنتم بالله ولجأتم إليه ، نصركم على عدوكم وأيدكم عليه ، وأظفركم بهم .

فصمم ملأهم عن النكول ـ العدول والرجوع ـ عن الجهاد بل وقالوا لموسى عليه السلام :

ـ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون .

ابتلاؤه عليه السلام بإلقاء قومه في التيه :

عندما عصى بنو إسرائيل موسى كليم الله وقالوا ما قالوا في حق موسى عليه السلام وربه ﷻ عوقبوا على ذلك كله بالتيهان في الأرض ، ويسيرون على غير مقصد، ليلا ونهاراً وصباحاً ومساءاً في مدة من السنين تصل إلى أربعين سنة ويقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله ، بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ، ولم يبق إلا ذرياتهم ويوشع وكالب عليهما السلام .

ابتلاؤه عليه السلام بسؤال قومه الذي هو أدنى بالذي هو خير :

أنعم الله ﷻ على بني إسرائيل نعماً كثيرة ، فقد يسر لهم المن والسلوى بلا كلفة ولا سعي لهم فيها ، بل ينزل الله ﷻ عليهم المن باكراً ، ويرسل عليهم طير السلوى عشيا ، كما أنبع لهم الماء حيث ضرب موسى عليه السلام حجراً كان يحمله معه بالعصا فتتفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، لكل سبط عين منه تنبجس ، ثم تتفجر ماءً زلالاً فيستقون فيشربون ويسقون دوابهم ، ويدخرون كفايتهم، وظلل عليهم الغمام من الحر.

كل هذه نعم من الله عظيمة ، وعطيات جسيمة ، لكنهم لم يرعوها حق رعايتها ، ولا قاموا بشكره وحق عبادته ، فقد أنكر كثير منهم هذه النعم ، وبطروا بها ، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يستبدلها لهم بغيرها ، مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها.

فوبخهم كليم الله وأنّبَهُم على طلبهم لأن ما يطلبون بدلا من هذه النعم إنما هو أقل مرتبة مما هم فيه .

ثم قال عليه السلام لهم :

ـ انزلوا إلى الأمصار فإنكم تجدون بها ما تشتهون من المآكل الدنية والأغذية الردية.

ولكنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه ، فحق عليهم الهلاك والدمار.

ابتلاؤه عليه السلام بطلبه رؤية الله ﷻ :

لما استكمل موسى عليه السلام الميقات وهو ثلاثون ليلة ، وكان فيهم صائما ، فلما أكمل الشهر أخذ لحاء شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه ، فأمره الله ﷻ أن يمسك عشراً أخرى ، فصارت أربعين ليلة ، لهذا ثبت في الحديث أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

ثم كلم الله موسى عليه السلام من وراء حجاب ، إلا أنه أسمعه الخطاب ، فناداه وناجاه ، وقربه وأدناه .

ولما أعطي هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية ، وسمع الخطاب ، سأل الله ﷻ أن يرفع عنه الحجاب ، فقال للعظيم الذي لا تدركه الأبصار القوي البرهان : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٤٣] . فأخبره العزيز القدير أنه لن يثبت عند تجليه ﷻ له ، لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الإنسان ، لا يثبت عند التجلي من الرحمن .

ثم أمره رب العزة تبارك وتعالى قائلا:

﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾[سورة الأعراف الآية : ١٤٣].

لأنه أكبر منك وأشد خلقا ، فنظر موسى عليه السلام إلى الجبل ، فإذا هو لا يتماسك ، وأقبل إلى الجبل فدك عن آخره ، ورأى موسى ما يُصنع بالجبل فخرَّ صعقاً ، فلما أفاق قال :

- سبحانك ربي تنزيها وتعظيما أن يراك أحد ، تبت إليك أن أسألك ما ليس لي بحق ، وأنا أول المؤمنين بك الموحدين لك ، فإنه لا يراك حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده .

ابتلاؤه عليه السلام باتخاذ قومه للعجل إلـهاً :

حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ومكث في الطور يناجي ربه ويسأله عن أشياء كثيرة ، وهو ﷻ يجيبه عنها .

في هذا الوقت اجتمعت بنو إسرائيل على أن يتخذوا إلـهاً لهم يعبدونه من دون الله ﷻ ، فعمد رجل منهم يقال له **هارون السامري** ، فأخذ ما كانوا استعاروه من قوم فرعون من الذهب ، فصاغ منه عجلا ، وألقى فيه قبضة من التراب كان قد أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام حينما كان يدفع بفرس فرعون

في البحر ، فكانت الريح إذا دخلت من دبر العجل خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة ، فيرقصون حوله ويفرحون .

ثم قال السامري لقومه :

- إن هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق فذهب يبحث عنه وها هو ذا بيننا وأخبر العلي القدير موسى ﷺ بما عليه قومه من عبادة العجل ، ولما رجع موسى ﷺ إليهم ، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ومعه الألواح فيها التوراة ، ألقاها فتكسرت .

ثم أقبل عليهم فعنفهم ووبخهم على صنيعهم القبيح ، فاعتذروا له مظهرين جهلهم وأن الله ﷻ قد أباح لهم أخذ الذهب من قوم فرعون ، ولم يتحرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل مع الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

ثم أقبل موسى ﷺ على أخيه هارون قائلا له :

- هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعتني فأعلمتني بما فعلوا؟

فرد عليه هارون ﷺ قائلا:

- إني خشيت أن أتركهم وآتيك وأنت قد استخلفتني فيهم .

فقال موسى ﷺ :

- **رب اغفرلي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين .**

حيث كان هارون ﷺ قد نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع أشد النهي ، وزجرهم عنه أتم الزجر .

ثم أقبل موسى ﷺ على السامري قائلا :

- ما حملك على ما صنعت ؟

فرد عليه السامري قائلا :

- رأيت جبريل وهو راكباً فرسا فقبضت ترابا من أثر فرسه فألقيته في العجل المصنوع من الذهب فكان من أمره ما كان .

فدعا عليه موسى ﷺ ألا يمسه أحد في الدنيا ، وتوعده العذاب الشديد في الآخرة .

ثم عمد موسى ﷺ إلى هذا العجل ، فحرقه بالنار ، ثم ذراه في البحر ، وأمر بنى إسرائيل فشربوا منه ، فمن كان من عابديه علق على شفاههم من ذلك الرماد ما يدل عليه .

وقيل : بل اصفرت وجوههم وألوانهم .

ابتلاؤه عليه السلام بتقتيل قومه :

أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يتوبوا إلى الله عز وجل عما فعلوا ، ولكن الله عز وجل لم يقبل توبة عابدي العجل إلا بالقتل كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٥٤] ، فيقال : إنهم أصبحوا يوما وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف ، وألقى الله عز وجل عليهم ضباباً حتى لا يعرف القريب قريبه ، ولا النسيب نسيبه ، ثم مالوا على عابدي العجل فقتلوهم وحصدوهم .

فيقال إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفاً .

ابتلاؤه عليه السلام بأخذ قومه بالصاعقة :

جمع موسى عليه السلام سبعين رجلا من بني إسرائيل منهم العلماء والعباد وكانوا خيرة بني إسرائيل ، ليعتذروا لله عز وجل عما بدر منهم في عبادة العجل ، وأمرهم أن يتطيبوا ويتطهروا ويغتسلوا.

فخرج إلى طور سيناء حيث يتكلم إلى الله عز وجل ، وطلب منه السبعون رجلا أن يسمعوا كلام الله عز وجل له ، فقال موسى عليه السلام لهم :

- نعم أفعل .

فلما دنا موسى عليه السلام من الجبل ، وقع عليه عمود من الغمام حتى تغش الجبل كله ، ودنا موسى فدخل في الغمام ، ثم قال لقومه :

- ادنوا .

وكان موسى عليه السلام إذا كلمه الله عز وجل ، وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضُرب دونه الحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا ، فسمعوه وهو يكلم موسى عليه السلام ويأمره وينهاه ، افعل ولا تفعل ، فلما فرغ الله عز وجل من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم فقالوا :

- يا موسى إنا لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً .

فأرسل الله عز وجل عليهم الصاعقة ، وأخذتهم الرجفة فأتلفت أرواحهم فماتوا جميعا فقام موسى عليه السلام يناشد ربه ، ويدعوه ، ويرغب إليه قائلا :

- اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فإن براء مما عملوا ، اللهم هذا اختبارك وابتلاؤك ، فمن شئت هديته ، لك الحكم والمشيئة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت ، أنت ولينا سبحانك رجعنا إليك فتب علينا .

فاستجاب الله ﷻ لنبيه ورد إليهم أرواحهم ينظر بعضهم إلى بعض وهم يبعثون أحياء.

ابتلاءه عليه السلام بمجادلة قومه له في البقرة :

كان في بني إسرائيل رجلٌ كثير المال ، وكان شيخاً كبيراً ، وله بنو أخ ، وكانوا يتمنون موته ليرثوه ، فعمد أحدهم إليه فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق .

فلما أصبح الناس اختلفوا فيه ، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم ، فقالوا :

- ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله وهو بين أظهركم.

فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى رسول الله موسي عليه السلام ، فقال لهم موسى عليه السلام :

- أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به .

فلم يكن عند أحد منهم علم منه ، وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربه ﷻ فسأل ربه ﷻ في ذلك ، فأمره الله ﷻ أن يأمرهم بذبح بقرة ، فقالوا له :

- يا موسى أتستهزأ بنا نسألك عن أمر هذا القتيل ، وأنت تقول لنا هذا ؟

فأجابهم موسى عليه السلام :

- أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إليَّ ، فهذا الذي أجابني به حين سألته عما سألتموني أن أسأله فيه .

وكان بنو إسرائيل قوم مراءٍ وجدال ، فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لتحقق لهم ما يطلبون ، ولكنهم تشددوا فشدد الله عليهم ، حيث سألوا عن صفتها ، ثم عن لونها ، ثم عن سنها ، فأجيبوا بما عز وجوده لديهم .

فأمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة لا هي بالفارض - كبيرة السن - ولا هي بالبكر - صغيرة السن - .

ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها ، فأمروا أنها صفراء فاقع لونها وهو المشرب بحمرة ، تسر الناظرين ، وهذا اللون عزيز .

ثم شددوا أيضا فقالوا: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٧٠] .

فلولا أن بني إسرائيل استثنوا ـ أي قالوا : وإنا إن شاء الله لمهتدون ـ لما اهتدوا إليها أبدا .

فأمرهم الله ﷻ أن يذبحوا بقرة ليست مذللة بحراثة الأرض ، وهي صحيحة من كل عيب ، فليس فيها لون يخالف لونها ، بل هي مسلمة من العيوب ، ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها ، فلما حددها بهذه الصفات ، وحصرها بهذه النعوت والأوصاف﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧١] .

ولم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجلٌ منهم كان باراً بأبيه ، فطلبوها منه فأبى عليهم ، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه ملء جلدها ذهباً .

فأمرهم نبي الله موسى عليه السلام بذبحها ، ثم أمرهم الله ﷻ أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها .

قيل : بلحم فخذها ، وقيل : بالعظم الذي يلي الغضروف ، وقيل بالبضعة التي بين الكتفين ، فلما ضربوه ببعضها أحياه الله ﷻ ، فقام وهو يشخب دماً ، فسأله نبي الله موسى عليه السلام :

ـ من قتلك ؟

قال الإسرائيلي :

ـ قتلني ابن أخي .

ثم عاد ميتاً كما كان ، وقد جعل الله ذلك آية لبني إسرائيل ليريهم كيف يحي الموتى ولكنهم كانوا قوم سوءٍ فلم يتعظوا بما رأوا أو يؤمنوا بما أوحي إليهم .

ابتلاؤه عليه السلام برحلته مع الخضر عليه السلام :

قام موُسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فعجبوا من غزارة علمه ، ، ومن ثمَّ سألوه :

ـ يا موسى أي الناس أعلم ؟

فرد عليهم قائلا :

ـ أنا .

فعاتبه الله ﷻ لأنه لم يرد العلم إليه ﷻ ، ثم أوحى الله ﷻ إليه :

ـ إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك .

قال موسى عليه السلام :

ـ يا رب فكيف لي به ؟

قال الله ﷻ :

ـ تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل ـ سلة ـ فحيثما فقدت الحوت كان هذا هو المكان .

فأخذ موسى عليه السلام حوتا وجعله في مكتل ، ثم انطلق وأخذ معه فتاه يوشع ابن نون ، حتى إذا أتيا صخرة ناما عليها ، واضطرب الحوت في المكتل ، فخرج منه وسقط في البحر، واتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله ﷻ عن الحوت جريه في الماء فسار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ موسى عليه السلام نسى صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتى إذا كان الغد قال موسى عليه السلام لفتاه :

ـ آتنا غداءنا فقد تعبنا في سفرنا هذا .

عند ذلك تذكر يوشع بن نون عليه السلام أمر الحوت فأخبر موسى عليه السلام خبره، ومن ثمَّ فقد رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى عليه السلام ، فقال الخضر عليه السلام :

ـ من أنت ؟

قال موسى عليه السلام :

ـ أنا موسى .

فقال الخضر :

ـ موسى بنى إسرائيل ؟

قال موسى عليه السلام :

ـ نعم ، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً .

فرد عليه الخضر عليه السلام :

ـ لن تستطيع معي صبراً ، يا موسى إني على علم علمنيه الله ﷻ لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله ﷻ لا أعلمه أنا.

فقال موسى عليه السلام :

ـ ستجدني إن شاء الله صابراً معك ولن أعصي لك أمراً .

فقال الخضر عليه السلام :

ـ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ مما سيحدث حتى أخبرك أنا به .

ثم سارا معاً على ساحل البحر ، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن

يحملوهم، فعرف أصحابها الخضر عليه السلام فحملوهم بغير أجر ، فلما ركبا فى السفينة قام الخضر عليه السلام فقلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم .فقال لـه موسـى عليه السلام :

ـ قوم حملونا بغير نول ـ أجر ـ تعمد إلى سفينتهم فتخرقها لهم لتغرقهم ، لقد جئت شيئاً إمراً .

فرد عليه الخضر عليه السلام :

ـ يا موسى ألم أخبرك أنك لن تستطيع صبراً على أفعالي ؟

فرد عليه موسى عليه السلام :

ـ لا تؤاخذني بما نسيت ولا تكلفني ما لا طاقة لي به .

وجاء عصفور فوقع على حـرف السـفينة فنقـر في البحـر نقـرة ، فقـال لـه الخضر عليه السلام :

ـ ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقـاره مـن هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان علـى السـاحل إذ أبصـر الخضـر عليه السلام غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعها بيده فقتله فقال له موسى عليه السلام :

ـ أتقتل نفسا بغير ذنبٍ جنته ، لقد جئت شيئاً منكراً ؟

فقال له الخضر عليه السلام :

ـ ألم أخبرك أنك لن تستطيع أن تصبر على أفعالي ؟

فرد عليه موسى عليه السلام قائلاً :

ـ إذا سألتك عن شيءٍ بعد هذا فلا تصحبني معك وأرجو أن تقبل منى العذر على ذلك .

فانطلقا معا حتى آتيا قرية فطلبا من أهلها طعاماً فلم يطعموهما فسارا حتى وجدا جداراً مائلاً يوشك أن يسقط ، فأقاماه ، فقال له موسى عليه السلام :

ـ قومٌ لم يأونا ورفضوا إطعامنا فتبني لهم جدارًا ، كـان مـن حقـك أن تطلـب عليه أجراً .

فرد عليه الخضر عليه السلام قائلاً :

ـ هذا فراقٌ بيني وبينك لأنك سألت ما ليس لك به علم ، وسوف أخبرك بما

رأيت ، أما السفينة فقد كان وراءها ملك ينتزع كل سفينة صالحة من أصحابها لذا فأردت أن أعيبها فيصلحوها بعد أن يمضي الملك وينتفعوا بها، وأما الولد فقد كان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشيت أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحاً وكان الجدار يحمي كنزاً لهما بأسفل منه فأردت أن أحميه لهما بإقامة الجدار حتى يجداه حين يكبرا .

وهكذا فقد موسى عليه السلام صحبة الخضر بسبب تسرعه وعدم صبره على ما وجد مع الخضر.

* * *

ثم إن الخضر عليه السلام قال له :

ـ يا موسى عبت عليَّ هذه الأفعال ولكنها ثلاث منى بثلاث منك يا موسى. عبت عليَّ أن اقتلعت ألواح السفينة ألم تعلم أن الله ﷻ حام أهلها كما حماك وردك على أمك بعد أن كانت تلقيك في البحر في التابوت ، وأخذت عليَّ أن قتلت الغلام ، ألم تذكر يوم قتلت القبطي يا موسى ؟ ، وأخذت عليَّ أن أقمت الجدار لليتيمين دون أجر ... ألم تذكر يوم أن سقيت لابنتي شعيب دون أجر يا موسى؟ ... **فتلك ثلاث بثلاث.**

ابتلاؤه عليه السلام بقارون :

هو قارون بن يصهب بن قاهث ، وكان يسمى « المنور » لحسن صوته بالتوراة، ولكنه نافق وبغى بكثرة أمواله ، فأهلكه الله ﷻ .

وقد كانت كنوزه من الكثرة حتى إن مفاتحها كان يثقل حملها على الفئات من الرجال الشداد .

وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين :

ـ لا تفرح بما أعطيت وتفخر به على غيرك ، ولتكن همتك مصبوبة على تحصيل ثواب الله في الدار الآخرة ، فإنه خيرٌ لك وأبقى ، ومع هذا خذ من الدنيا بقدر ما تحتاج ومتع نفسك بالملاذ الطيبة الحلال مما أحل الله لك من مالك ، وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم إليك ، ولا تسيء إليهم فيعاقبك الله ﷻ بسلب ما أعطاك إياه .

فرد عليهم متعالياً قائلاً :

ـ أنا لا أحتاج إلى ما ذكرتم ، ولا إلى ما إليه أشرتم ، فإن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أنى أستحقه ، وإني أهلٌ له ، ولولا أنى حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني إياه .

فرد الله عليه في محكم آياته قائلاً : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [سورة القصص الآية: ٧٨] .

أي قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوةً وأكثر أموالاً وأولاداً .

وقد خرج يوماً في تجملٍ عظيم ، من ملابس ومراتب وخدم وحشم ، ومر بقومه ، فلما رآه من يعظم زينة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله ، وغبطوه بما عليه ، فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح ، الزهاد بما في يده، قالوا لهم:

ـ إن ثواب الله ﷻ في الدار الآخرة خيرٌ وأبقى وأجل وأعلى .

وبعد أن خرج قارون على قومه في زينته مر على مجلسٍ فيه موسى ﷺ ، وهو يذكر قومه بأيام الله ، فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثيرٍ منهم ينظرون إليه ، فدعاه موسى ﷺ فقال له :

ـ ما حملك على هذا ؟

فقال قارون :

ـ يا موسى أما لئن كنت فُضِلْتَ عليَّ بالنبوة ، فقد فضلت عليك بالمال ، ولئن شئت لتخرجن ، فلتدعون عليَّ ولأدعون عليك .

فخرج موسى ﷺ وخرج قارون في قومه ، فقال له موسى ﷺ :

ـ تدعو أو أدعو أنا ؟

قال قارون :

ـ أدعو أنا .

فدعا قارون فلم يُجِب له في موسى ﷺ .

فعند ذلك قال موسى ﷺ :

ـ أدعو ؟

قال له قارون :

ـ نعم .

فقال موسى عليه السلام :

ـ اللهم مُر الأرض فلتطعني اليوم .

فأوحى الله عز وجل إليه :

ـ إني قد فعلت ـ أي سخرت لك الأرض وأمرتها أن تطيعك ـ .

فقال موسى عليه السلام :

ـ يا أرض خذيهم .

فأخذتهم إلى أقدامهم .

ثم قال عليه السلام :

ـ خذيهم .

فأخذتهم إلى رُكبهم ، ثم إلى مناكبهم .

ثم قال موسى عليه السلام لها :

ـ أقبلي بكنوزهم وأموالهم .

فأقبلت بها حتى نظروا إليها ، ثم أشار موسى عليه السلام بيده فاستوت بهم الأرض .

ولما حل بقارون ما حل من الخسف وذهاب الأموال وخراب الديار ، وإهلاك النفس والأهل والعقار ، ندم من كانوا تمنو مثل ما أوتي ، وشكروا الله عز وجل الذي يدبر لعباده بما يشاء من حسن التدبير .

ابتلاؤه عليه السلام بوفاة هارون عليه السلام :

أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أني متوفٍ هارون فائت به جبل كذا وكذا ، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو هذا الجبل ، فإذا هما بشجرة لم تُـرَ شجرة مثلها ، وإذا هما ببيت مبني ، وإذا هما بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريحٌ طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، فقال :

ـ يا موسى ، إني أحب أن أنام على هذا السرير .

قال له موسى عليه السلام :

ـ فنم عليه .

فرد عليه هارون عليه السلام قائلاً :

ـ إني أخاف أن يأت رب هذا البيت فيغضب عليّ .

قال له موسى عليه السلام :

ـ لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم .

قال له هارون عليه السلام :

ـ يا موسى بل نم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب عليَّ وعليك جميعاً .

فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال :

ـ يا موسى خدعتنى .

فلما قُبض رُفع ذلك البيت ، وذهبت تلك الشجرة ورُفع السرير إلى السماء فلما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وليس معه هارون قالوا :

ـ إن موسى قتل هارون ، وحسده على حب بني إسرائيل له .

لأن هارون عليه السلام كان محببا إليهم وأكف عنهم وألين قولا لهم من موسى ، حيث كان في موسى عليه السلام بعض الغلظة عليهم ، فلما بلغه ما قالوا قال لهم :

ـ ويحكم !. كان أخي أفتروني أقتله ؟

فلما أكثروا عليه قام فصلي ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فتأكدوا من صدق قول موسى عليه السلام .

وبهذا فقد موسى عليه السلام أفضل أخ ، وأصدق صديق وأوفى وزير فقد كان هارون لموسى نعم الأخ ونعم الصديق وهو بذلك وزير صدق أعانه في أمر فرعون وسانده في دعوة بني إسرائيل .

* * *

يوشع بن نون عليه السلام

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة الآيات: ٥٨-٥٩] .

* * *

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

توفي هارون عليه السلام بالتيه قبل موسى عليه السلام بنحو سنتين ، ثم توفي موسى عليه السلام كذلك بالتيه .

فكان الذي خرج ببني إسرائيل من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو **يوشع ابن نون** عليه السلام ، فقطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا ، وكانت من أحصن المدائن سوراً وأعلاها قصوراً ، وأكثرها أهلاً ، فحاصرها ستة أشهر ، ثم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالأبواق وكبروا تكبيرة رجل واحد ، فتهاوى سورها وسقط سقطة واحدة ، فدخلوها وأخذوا ما وجدوا بها من الغنائم ، وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، وحاربوا ملوكاً كثيرة .

وقد انتهت محاصرة يوشع بن نون عليه السلام يوم الجمعة بعد العصر ، فلما كادت الشمس أن تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذي شُرِعَ لهم فيه قال يوشع بن نون عليه السلام مخاطباً الشمس :

ـ إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عليّ .

فحبسها الله عز وجل حتى تمكن من فتح البلدة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الشمس لم تحبس لبشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس** » .

ولما دخل يوشع بن نون بقومه الأرض المقدسة أُمِرُوا أن يدخلوها سُجداً رُكعاً متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما منَّ به عليهم من الفتح العظيم ، الذي

كان الله وعدهم إياه ، وأن يقولوا وهم داخليها « **حِطة** » أي حط عنّا يا ربنا خطايانا التي سلفت .

لكن بني إسرائيل خالفوا ما أمروا به قولاً وفعلاً، فدخلوا الباب يزحفون على استاهم ويقولون :

ـ حبة من شعرة أو حنطة من شعرة .

وبهذا بدلوا ما أمروا به واستهزأوا به ، فعاقبهم الله ﷻ على هذه المخالفة ، فأرسل عليهم **الرجز وهو الطاعون** .

* * *

فعن أسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال : **الطاعون رجزٌ وعذاب ، عُذِبَ به من كان قبلكم** .

* * *

ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه ، وبين أظهرهم نبي الله يوشع عليه السلام يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله ﷻ إليه ، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكانت مدة حياته بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة .

* * *

إلياس عليه السلام

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [سورة الصافات الآيات: ١٢٣-١٣٢] .

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

هو إلياس بن العاذر بن العيزار بن هارون بن عمران عليهما السلام .

أرسله الله ﷻ إلى **أهل بعلبك غربى دمشق** ، فدعاهم إلى عبادة الله ﷻ وترك عبادة صنمهم « **بعلا** » .

ولكنهم كذبوه وخالفوه ، بل وأرادوا قتله ، فهرب منهم واختفى عنهم ، وكان ذلك في عهد ملك لهم كفر به وكذب بما جاء به .

ثم ابتعد عنهم إلياس عليه السلام عشر سنين ، حتى أهلك الله ﷻ الملك وَوُلِّيَ غيره، فأتاه إلياس عليه السلام فعرض عليه الإسلام فأسلم ، وأسلم من قومه خلقٌ عظيم .

ولكن من كذبه من قومه ورفض ما جاء به من عند الله ﷻ ، وعدهم الله ﷻ العذاب في الدنيا والآخرة ، إلا من آمن منهم ، وأعلى الله ﷻ ذكر إلياس عليه السلام فهو لا يُذكر إلا بخير عليه السلام إلى يوم القيامة .

* * *

ويُقال إن قبره موجود في قرية سميت باسمه « **النبي أيلا** » وهي على الطريق بين بعلبك وزحلة ، **وأيلا تحريف لإلياس بالعربية** .

* * *

داود عليه السلام

﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥١] .

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة ص الآيات: ٢١-٢٥] .

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بقتل جالوت :

كان داود عليه السلام هو أصغر أولاد أبيه الذين كانوا ثلاثة عشر ذكراً ، وذات يوم سمع طالوت ملك بني إسرائيل وهو يحرض بني إسرائيل على مقاتلة جالوت وجنوده ويقول :

ـ من قتل جالوت زوجته ابنتي وأشركته في ملكي .

وكان داود عليه السلام يرمي بالمقلاع رمياً عظيماً ، فبينما هو سائر مع بني إسرائيل ناداه حجر :

ـ أن خذني فإن بي تقتل جالوت .

فأخذه معه ثم ناداه حجر ثان وثالث ، فأخذ الثلاثة في مخلاته ، فلما تقابل الجمعان برز جالوت ودعا إلى المبارزة ، فتقدم إليه داود عليه السلام ، فقال له جالوت :

ـ ارجع فإني أكره قتلك .

فقال له داود عليه السلام :

- ولكني أحب قتلك .

وأخذ تلك الحجارة الثلاثة فوضعها في المقلاع - القذافة - ثم أدارها فصارت الثلاثة أحجار كأنها حجرٌ واحدٌ ، ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وسقط صريعا وفر جيشه مهزوماً .

ثم وفى له طالوت ما وعده فزوجه ابنته ، وأعطاه نصف ملكه ، وهذا فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام حيث قتل جالوت قتلاً أذل به جنده وكسر جيشه، وغنم بذلك الأموال الجزيلة .

ابتلاؤه عليه السلام بطلب العلم :

يروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن خذ عصا من حديد ونعلين من حديد ، وامش فى طلب العلم حتى ينخرق النعلان ، وتنكسر العصا.

ابتلاؤه عليه السلام بدعوى القاتل :

جاء رجلان تداعيا إلى داود عليه السلام ، في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه ، فأنكر المدعي عليه فأرجأ داود عليه السلام أمرهما إلى الليل ، فلما كان الليل أوحى الله عز وجل أن يقتل المدعى ، فلما أصبح قال داود عليه السلام للمدعى :

- إن الله قد أوحى إليَّ أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فما خبرك فيما ادعيته على هذا ؟

قال المدعى :

- والله يا نبي الله إني لمحقٌ فيما ادعيت عليه ، ولكنى اغتلت أباه فيما مضى .

فأمر به داود عليه السلام فقُتل ، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جداً وخضعوا له خضوعاً عظيماً

وذلك لأن الله عز وجل جمع له بين الملك والنبوة وبين خير الدنيا والآخرة .

ابتلاؤه عليه السلام بالعمل بصناعة الدروع :

أعان الله عز وجل داود عليه السلام على عمل الدروع من الحديد ليحمي مقاتليه من الأعداء ، وأرشده إلى صناعتها وكيفيتها .

كما ألان له الله عز وجل الحديد حتى صار كالطين - كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة -، فكان أول من عمل الدروع من الحديد وإنما كانت قبل ذلك من الصفيح ، فكان كل يوم يقوم بعمل درع واحد فيبيعه بستة آلاف درهم .

فكان داود عليه السلام يعمل بيده في قوة في الطاعة والعبادة وفي العمل الصالح ، فقد أعطاه الله عز وجل قوة في العبادة ، وفقهاً في الإسلام ، فكان يقوم الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً .

* * *

سليمان عليه السلام

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[سورة النمل الآيات :١٧-١٨]

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة النمل الآيات: ٢٠-٢٥] .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة ص الآيات: ٣٠-٣٣] .

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾[سورة الأنبياء الآيات: ٧٨-٧٩] .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سورة سبأ الآية : ١٤].

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بالمرور على وادي النمل :

كان سليمان عليه السلام يعرف ما يتخاطب به مع الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها .

كما أتاه الله عز وجل من كل ما يحتاج إليه الملك من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين .

وقد ركب سليمان عليه السلام ذات يوم في جيشه من الجن والطير والإنس ، جميعهم يسيرون في نظام فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ، ولا يتأخر عنه ، ثم مروا على وادي به نمل فقامت نملة منهم عرجاء تسمى « **جرسا** » من قبيلة يقال لها : « **بنو الشيصبان** » فحذرت قومها واعتذرت لهم عن سليمان عليه السلام وجنوده بعدم الشعور بهم مما قد يؤدي لهلاكهم .

ففهم سليمان عليه السلام ما خاطبت به تلك النملة أمتها من الرأي السديد والأمر الحميد ، وتبسم ضاحكا من ذلك استبشاراً وفرحاً بما أطلعه الله عليه دون غيره من معرفة لغة الطير والحيوان .

ومن ثم فقد طلب من الله عز وجل أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه وما خصه به من الميزة على غيره وأن ييسر له العمل الصالح ، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين ، وقد استجاب الله عز وجل له واستجاب لدعائه في والديه بأن يدخلهم جميعا في رحمته عز وجل .

ابتلاؤه عليه السلام بعبدة الشمس :

سخر الله عز وجل لسليمان عليه السلام جميع الطيور والحيوانات ، وكان لكل منهم وظيفته وكانت وظيفة الهدهد ـ كان كوزير الرى يرى الماء فى باطن الأرض كما يُرى الماء فى زجاجة ـ أنهم كانوا إذا لم يجدوا الماء في القفار في حالة الأسفار ، يجيء فينظر هل بهذه البقاع من ماء ؟

وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض ، فإذا دلهم عليه حفروا عنه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم .

فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده في موضعه ، فسأل عنه فلم يجده ، فتوعده بالعذاب أو الذبح إلا أن يأتيه بحجة تنجيه من هذه الورطة .

فغاب الهدهد غيبة ليست بالطويلة ثم قدم منها فقال لسليمان عليه السلام :

ـ إني أُطْلعت على مالم تطلع عليه وجئتك من سبأ بخبرٍ صادق .

وذكر لسليمان ﷺ ما آل إليه أمر أهل سبأ حيث ملكوا عليهم ابنة ملكهم ـ بلقيس بنت الهدهاد ـ .

ثم ذكر له كفرهم بالله ﷻ وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون .

فعند ذلك بعث معه سليمان ﷺ كتابا يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه .

فكتب إليهم قائلاً :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

هذا كتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس بنت الهدهاد ملكة سبأ، أدعوكم ألا تستكبروا عن طاعتي ، وامتثال أوامري ، وأن تقدموا عليّ سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فجاءها الهدهد يحمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها، ثم وقف في ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابه.

فقالت :

ـ إن ملكاً رسله الطير لذو ملكٍ عظيم .

ثم جمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها لمشورتهم ، ثم قرأت عليهم كتاب سليمان ﷺ ثم شاورتهم في أمرهم وما قد حل بهم ، وتأدبت معهم في خطابهم قائلة :

ـ شاوروني في أمري ، فما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون .

فردوا عليها قائلين :

ـ إن لنا قوة وقدرة على القتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منّا ذلك فإنّا عليهم قادرون .

فكان رأيها أتم وأرشد من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ، ولا يجازع ، فأرادت أن تذهب بائسه عن قومها بأن ترسل إليه بهدية ، وتبعث بتحف ، ولم تعلم أن سليمان ﷺ لن يقبلها منهم لأنهم كافرون ، وهو وجنوده عليهم قادرون .

فعندما بعثت إليه بالهدايا ، قال سليمان عليه السلام لرسولها :

ـ ارجع بهديتك التي قدمت بها ، فإن عندي ما قد أنعم الله به عليّ وأسداه إليّ من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير منه فأنتم الذين تفرحون بهذا ، وتفخرون به على أبناء جنسكم ، ولأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولأخرجنهم من بلدهم وهم أذلة عليهم الصغار والعار والدمار .

فلما بلغ بلقيس وقومها ذلك عن نبي الله ، لم يكن لهم بدٌ من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته وأقبلوا جميعا بصحبة ملكتهم وهم طائعين .

ابتلاؤه عليه السلام بإحضار عرش بلقيس :

عندما علم سليمان عليه السلام بأن بلقيس وقومها في طريقهم إليه ، أراد أن يريهم من آيات الله ما يدفعهم على الإيمان به حق الإيمان ، وأراد أن يُعلمهم أن الله عز وجل هو القادر على كل شيء وليس ما يدعون من دونه من أجرامٍ لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها من متاع الحياة الدنيا أو الآخرة من شيء .

فطلب سليمان عليه السلام من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها الذي تجلس عليه وقت حكمها قبل أن تقدم عليه بجنودها .

فقال له عفريت من الجن :

ـ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك .**

أي قبل أن ينقضي مجلس حكمك ـ كان سليمان عليه السلام يعقد مجلسا كل يوم من بعد شروق الشمس حتى الظهر ـ حيث يتصدى فيه لمهمات بني إسرائيل ومشاغلهم ، فصرف سليمان عليه السلام عنه نظره دليل على استكثاره لهذا الوقت .

فقال له آصف بن برخيا :

ـ **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك .**

أي قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته، حيث أن «آصف» **كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجيب .**

فلما رأى سليمان عليه السلام عرش بلقيس مستقراً عنده في هذه المدة الوجيزة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس قال :

ـ هذا من فضل الله عليّ وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر لنعمائه .

ثم أمر سليمان عليه السلام من حوله من الجن أن يغيروا حُليّ هذا العرش

وينكروه لها لينظر هل تفطن إلى هذا أم لا ؟

ولكنها لم تفطن إلى ذلك؟ عندما سألها :

ـ أهكذا عرشك ؟

قالت:

ـ كأنه هو .

حيث أن إشراكها بالله وعبادتها للشمس من دون الله ﷻ ، منعتها أن تعلم أن قدرة الله فوق كل شيء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

ابتلاؤه عليه السلام بحب الخيل :

كان سُليمان عليه السلام يهوى ركوب الخيل ويستمتع بذلك استمتاعاً كبيراً ، ولكن ذات يوم اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس فحزن حزناً شديداً لذلك .

ثم إنه عليه السلام أمر بذبح الخيول ، وتركها حباً لله ﷻ .

فأراد الله ﷻ أن يكافئه على ذلك فعوضه عنها ما هو خيرٌ له منها ، وهي الريح التي كانت غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ ، فكانت له مركب من أخشاب وكان يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام وغير ذلك ، فإذا أراد سفراً، أو قتال ملك أو أعداء في أي بلاد الله شاء ، حمل أشياءه على هذا البساط وأمر الريح فتدخل تحته وترفعه ، فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به ، فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون ، فوضعته في أي مكان شاء ، بحيث أنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدوا به الريح مسيرة شهر، فيقيم هناك إلى آخر النهار ، ثم ترده في آخر النهار إلى بيت المقدس مرة أخرى .

ابتلاؤه عليه السلام باختصام أصحاب الغنم وأصحاب الكرم :

كان لقوم شجر كرم ، فرعت فيه أغنام قوم آخرين ليلاً فأكلت شجره كله ، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته .

فلما خرجوا من عند داود عليه السلام رآهم سليمان عليه السلام فسألهم :

ـ بما حكم لكم نبي الله ؟

فقالوا :

ـ حكم لأصحاب الكرم بقيمته .

فقال سليمان عليه السلام لهم :

- أما لو كنت أنا لحكمت بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها ويأخذون إنتاجها ، حتى يصلح أصحاب الغنم أشجار الكرم ويردوه إلى ما كانت عليه ، عند ذلك يرد أصحاب الغنم أشجار الكرم إلى أصحابها ويرد أصحاب الكرم الغنم إلى أصحابه .

فبلغ داود عليه السلام مقولة وحكم سليمان عليه السلام فحكم به .

ابتلاؤه عليه السلام بنزاع المرأتين :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما امرأتان معهما ابنيهما ، إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحديهما ، فتنازعتا في الأمر - كلٍ منهما تريد أخذه وتدعى أنه ابنها - فقالت الكبرى : إنما ذهب بابنك ، وقالت الصغرى : بل إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فحكم به للكبرى ، فخرجتا على سليمان عليه السلام فقال : ائتوني بسكين أشقه نصفين لكل واحدةٍ منكما نصفه ، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به لها** » - أى حكم به للصغرى - .

في هذا الحديث دلالة على ذكاء وحسن تصرف سليمان عليه السلام حيث إنه أمر بشق الطفل إلى قسمين فنطقت أمه التي خافت عليه وفضلت تركه للأخرى على أن يموت وبذا عرف سليمان عليه السلام **أنها أمه الحقيقية فأمر به لها** .

ابتلاؤه عليه السلام بعدم قول إن شاء الله :

قال إمام المتقين ﷺ : **قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ، ولم يقل : إن شاء الله ، فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة ، إلا امرأة ولدت نصف إنسان.**

فقال رسول الله ﷺ :

لو قال : إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ .

وقد ذكر غير واحدٍ من السلف أن سليمان عليه السلام كانت له من النساء ألف امرأة ، سبعمائة بمهور ، وثلاثمائة سراري ، وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً.

ابتلاؤه عليه السلام في موته :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى

ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سورة سبأ الآية : ١٤] .

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : **كان سليمان نبي الله ﷺ إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا . فيقول : لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست ، وإن كانت لدواء أنبتت ، فبينما هو ذات يوم يصلي إذا رأى شجرة بين يديه فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان : اللهم عَمّ عن الجن موتى ، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولاً ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ، فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء.**

وعن خيثمة أنه قال :

قال سليمان بن داود ﷺ لملك الموت :

ـ إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني .

ـ فآتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة .

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلي فاتكأ على عصاه ، فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكأ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي ، فبعث الله دابة الأرض فأخذت تأكل منسأته ـ عصاته ـ حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا .

ويقال إن دابة الأرض جعلت تأكل من عصاه في مدة سنة حتى خر .

* * *

زكريا عليه السلام

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝ ﴾ [سورة مريم الآيات : ١-٧]

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٣٧]

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بتكفيل مريم :

كانت **أم مريم** حنة بنت **فاقوذ** من العابدات وكانت لا تحمل ، فرأت يوماً طائراً يرفرف حول أفراخه فاشتهت الولد فنذرت لله ﷻ إن حملت لتجعلن ولدها **محرراً** حبيساً في خدمة بيت المقدس .

فاستجيب لها في ذلك وتقبل منها نذرها **وولدت مريم** ، فوضعتها أمها في خرقة ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العبَّاد الذين هم مقيمون به ، وكان أبوها عمران إمامهم وصاحب صلاتهم ، فتنازعوها فيما بينهم أيهم يكفلها ، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان فأراد أن يستأثر بها دونهم ، حيث أن زوجته **الياصبات** هي خالتها ، فشاحنوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم .

فألقى كلّ منهم قلمه ، ثم حملوها ووضعوها في موضع ، وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث ـ الإثم وحلف اليمين ـ فأخرج قلماً منها ، فظهر قلم زكريا عليه السلام ، فطلبوا منه أن يقترعوا ثانية ، وذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر **فأيهم جرى قلمه على خلاف جريه في النهر فهو الغالب** ، ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية النهر وسارت أقلامهم مع سريان الماء .

ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة ، **فأيهم جرى قلمه مع الماء فهو الغالب** ، ففعلوا فكان زكريا **هو الغالب عليهم فكفلها** .

ابتلاؤه عليه السلام بعدم الإنجاب:

اتخذ زكريا عليه السلام لمريم مكانا شريفا في المسجد لا يدخله سواه ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت حينما يحين دورها ، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها ، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى أنه كلما دخل عليها نبي الله زكريا عليه السلام يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه ، فكان يجد عندها **فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها :**

ـ من أين لك هذا ؟

فترد عليه قائلة :

ـ إنه رزق من الله رزقنيه .

فعند ذلك طمع زكريا في وجود ولدٍ من صلبه وإن كبُر في العمر فأخذ يسأل الله ﷻ قائلا :

ـ يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه ، هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه.

وأخذ يذكر لله ﷻ ما هو فيه من ضعفٍ ظاهراً وباطناً ثم قال :

ـ اللهم إنك ما عودتني فيما أسألك إلا الإجابة .

فبشرته الملائكة وهو يصلي في المحراب بيحيى عليه السلام .

فلما بشر بالولد وتحقق من البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد على ما هو عليه من الضعف وامرأته التي لا تلد ، فأجابه الملك قائلا:

ـ إن هذا أمرٌ يسيرٌ على الله ﷻ ، فقد أوجدك ولم تكن مذكوراً ، أفلا يوجد منك على هذا ولدٌ وأنت شيخ ؟

فسأل الله ﷻ أن يجعل له آية على وقت حمل امرأته بابنه ، فقال له الملك :

ـ علامة ذلك أن يعتريك سكوت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً ، وأنت في ذلك سوى الخلق ، صحيح المزاج ، معتدل البنية .

ثم أمره بكثرة الذكر لله ﷻ بالقلب في العشي والإبكار .

ابتلاؤه عليه السلام بقتله بيد قومه :

عندما قتل يحيى عليه السلام خسف الله ﷻ الأرض بالملوك الظالمين الذين عملوا على قتله ، فحزنت بني إسرائيل على ملوكهم وقالوا :

ـ قد غضب إلَه زكريا لزكريا ، فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا.

فخرجوا في طلب زكريا عليه السلام ليقتلوه فهرب منهم وإبليس أمامهم يدلهم عليه ، فعرضت له شجرة وقالت له :

- إليَّ إليَّ .

ثم انصدعت - انفلقت - فدخل فيها ، فجاء إبليس اللعين فأخذ بطرف ردائه والتأمت الشجرة ، **وبقي طرف ردائه خارجاً من الشجرة** ، وجاء بنو إسرائيل ، فقال لهم إبليس :

- أما رأيتموه دخل هذه الشجرة وهذا طرف رداءه ؟ لقد دخلها بسحره .

فقالوا له :

- نحرق هذه الشجرة .

فقال لهم إبليس :

- شقوه بالمنشار شقا .

فشقوها عليه ، رحمه الله عليه السلام هو ومن مثله من الأنبياء ، وصدق الله العزيز إذ يقول في بني إسرائيل : ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ** ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦١] .

* * *

يحيى عليه السلام

ابتلاؤه عليه السلام بالخمس كلمات :

عن الحارث الأشعري أن نبي الله محمداً ﷺ قال : « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى عليه السلام :

- إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن .

فقال :

- يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي .

فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

- إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن .

*أولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته إلى غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ ، وإن الله خلقكم ورزقكم ، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا .

*وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قِبَلَ عبده مالم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا .

*وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صدة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

*وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو ، فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : هل لكم أن أفتدي نفسى منكم ، فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه .

*وآمركم بذكر الله عز وجل كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصنا حصيناً فتحصن فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل .

ابتلاؤه عليه السلام بقتله بيد الظالمين :

كان بعض ملوك ذلك الزمان يريد أن يتزوج ببعض محارمه ـ ابنة أخيه ـ التي لا تحل له ، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك ، فبقي في نفسها شيءٌ حيث إنها كانت ترغب في الزواج من الملك .

وانتظرت حتى كان يوم عيد لهم يجتمعون فيه كل عام ، وكانت سنة الملك أن يوعد فلا يخلف ، ولا يكذب .

ثم قال لها الملك في ذلك اليوم وقد كان بها معجبا :

ـ سليني ، فما سألتيني شيئا إلا أعطيتك ؟

قالت :

ـ أريد دم يحيى بن زكريا .

فقال لها الملك :

ـ سليني غيره ؟

فقالت له :

ـ هو ذاك .

فكررها عليها فلم تزل تطلب منه دم يحيى عليه السلام ، وأخيرا أُرْغِمَ على أمره فأشار بيده إلى يحيى عليه السلام وهو في محرابه فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها.

فلما حُملَ رأسه إليها فوضع بين يديها ، خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه ، وظلَ دم يحيى عليه السلام يغلي حتى قدم بخت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى عليه السلام يغلي ، فسأل عنه فأخبروه ، فقتل بدمه سبعين ألفا من بني إسرائيل فسكن دم يحيى عليه السلام .

* * *

عيسى عليه السلام

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٤٥] .

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[سورة مريم الآيات:٣٤ـ٣٥]

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١١٦]

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١١٠] .

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[سورة المائدة الآية : ١١٢]

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء الآيات١٥٧-١٥٨]

* * *

ابتلاؤه عليه السلام بميلاده بدون أب :

بشرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها من بين سائر النساء ، وذلك بأن اختارها لإيجاد ولد منها بدون أب وبشرت بأنه سيكون نبيا شريفاً ، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة ، فكانت تقوم في الصلاة حتى تتفطر قدماها رضي الله عنها ورحمها .

ولكنها تعجبت من وجود ولد من غير والد ، لأنها لا زوج لها ، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنه يقول له كن فيكون ، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله ، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر.

فبينما هي يوما خرجت من المسجد لبعض شئونها ، إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ، فلما رأته فزعت منه واستعاذت بالله ، فخاطبها الملك قائلا:

ـ إنما أنا لست من البشر ولكنى ملك بعثني الله إليك لأهب لك ولدا حليماً.

فأجابته قائلة :

ـ كيف يكون لي غلام ولست ذات زوج ، وما أنا ممن يفعل الفاحشة ؟

فأجابها قائلا :

ـ إن ذلك أمرٌ سهلٌ ويسير على الله عز وجل ، فإنه على ما يشاء قدير .

ثم نفخ جبريل في جيب درعها ، فحملت من فورها .

ولما حملت به مريم ضاقت به ذرعاً ، وعلمت أن كثيرا من الناس سيكون منهم كلام في حقها .

فلما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك ابن خال لها يقال له **يوسف بن يعقوب النجار** ، فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها ، فعرض لها ذات يوم فقال :

ـ يا مريم هل يكون زرع من غير بذر ؟

قالت :

ـ نعم ، فمن خلق الزرع الأول ؟

ثم قال لها :

ـ فهل يكون ولد من غير ذكر ؟

قالت :

ـ نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى .

قال لها :

ـ فأخبريني خبرك ؟

فقالت :

ـ إن الله بشرني بولد بدون أب ألا وهو عيسى ابن مريم .

وقد اعتزلت مريم الناس في الفترة الأخيرة من حملها وجلست تحت جذع نخلة لتضع وليدها ، وقد تمنت الموت في هذه اللحظة ، لأنها علمت أن الناس سيكذبونها حين تأتيهم بغلام على يديها رغم ما يعلمون عنها من عبادتها وعفافها وزهدها .

فنوديت :

ـ أن يا مريم هزي جذع النخلة لكي تسقط عليك الرطب ، فكلي واشربي واهنئي به ، وإذا رأيت أحدا من الناس فأشيري إليه لأنك قد نذرت لله صوما عن الكلام .

ثم حملته وأتت به قومها وهي تحمله فقالوا لها :

ـ يا مريم ما هذا ؟ لقد جئت فعلا منكراً عظيما ، ولقد جئت من بيتٍ ليست هذه شيمه ولا سجيته .

ثم اتهموها بالفاحشة العظمى ، فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال ، توكلت على ذي الجلال ، فأشارت إليه أن خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عنده وما تبغون من الكلام فهو لديه ، فقالوا لها رداً على إشارتها:

ـ كيف نكلم صبيا صغيراً لم يزل في المهد ؟

فكان أول ما تكلم به عيسى عليه السلام هو اعترافه لربه عز وجل بالعبودية ، ونزه الله عز وجل عن كل نقص ، ثم برَّأ أمه مما نسبه إليها الجاهلون .

ابتلاؤه عليه السلام بالهجرة وأمه إلى مصر :

ولد عيسى عليه السلام في بيت لحم ببيت المقدس ، فخرت الأصنام يومئذٍ في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم إبليس اللعين أمر عيسى ، فوجدوه في حجر أمه والملائكة محدقة به ، وظهر نجم عظيم في السماء ، فأشفق ملك الفرس من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك ، فقالوا :

ـ هذا لمولد عظيم في الأرض .

فبعث رسله ومعهم ذهب ومر ولبان هدية إلى عيسى عليه السلام ، فلما قدموا

الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك ، فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد فأرسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه ، فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها :

ـ إن رسل ملك الشام إنما جاءوا ليقتلوا ولدك .

فاحتملته فذهبت به إلى مصر ، فأقامت بها حتى بلغ اثنتي عشرة سنة ، وظهرت عليه كرامات ومعجزات وهو صغير .

* * *

ذات يوم افتقد الدهقان الذي نزلوا عنده مالاً من داره ، وكانت داره لا يسكنها إلا الضعفاء والفقراء والمحاويج فلم يدر من أخذها ، وعز ذلك على مريم وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم الأمر ، فلما رأي عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من في المنزل فقال للأعمى :

ـ احمل هذا المقعد وانهض به .

فقال الأعمى :

ـ إني لا أستطيع ذلك .

فقال عيسى عليه السلام :

ـ بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة في الدار .

فلما قال ذلك صدقاه وأتياه بالمال ، فعظم عيسى في أعين الناس وهو بعد صبي صغير .

ابتلاؤه عليه السلام في قومه :

أقام عيسى عليه السلام على قومه الحجج والبراهين بما أيده الله به من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتي ولكن استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، فاختار من بينهم طائفة صالحة وكانوا له أنصارا وأعوانا ، ولكن بني إسرائيل ناصبوه وأصحابه العداء ، بل وكانوا يوشون به عند ملوكهم الذين كانوا يحاولون قتله واغتياله .

ابتلاؤه عليه السلام وقومه بالمائدة :

أمر عيسى عليه السلام الحواريين بصيام ثلاثين يوماً ، فلما أتموها سألوا عيسى عليه السلام أن يدعو الله أن ينزل مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك

قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم ، وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم ، لغنيهم وفقيرهم .

فوعظهم عيسى عليه السلام في ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حقها ، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من الله عز وجل .

فقام عيسى عليه السلام إلى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه ، وأطرق رأسه ، وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا .

فأنزل الله عز وجل المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين ، وجعلت تدنو قليلا قليلاً ، كلما دنت فسأل عيسى ربه عز وجل ألا يجعلها نقمة ، وأن يجعلها بركة وسلامة ، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام ، وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى عليه السلام يكشف عنها وهو يقول :

ـ بسم الله خير الرازقين .

فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة ، ولها رائحة عظيمة ثم أمرهم بالأكل منها فقالوا:

ـ لا نأكل حتى تأكل .

فقال عيسى عليه السلام :

ـ إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها .

فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً ، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى وأصحاب العاهات المزمنة وكانوا قريبا من ألف وثلثمائة ، فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال من أكل منها .

ثم أمرهم عيسى عليه السلام ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير .

ابتلاؤه عليه السلام بترك متاع الدنيا والتقشف :

خرج عيسى عليه السلام على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء حافياً باكياً شعثاً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش .

فقال لهم :

ـ السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا

عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتى ؟

قالوا :

- أين بيتك يا روح الله ؟

قال :

- بيتي المساجد ، وطيبي الماء ، وإدامي الجوع ، وسراجي القمر في الليل ، وصلاتي في الشتاء والشمس ، وريحاني بقول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري خوف رب العزة، وجلسائي الزمنى - أصحاب الأمراض المزمنة - والمساكين ، أصبح وليس لي شيء وأمسي وليس لي شيء ، وأنا طيب النفس غير مكترث ، فمن أغنى مني وأربح ؟

صدقت يا روح الله تركت الدنيا وفزت بالآخرة ونعيمها وجعلك الله روحه صلي الله عليك وسلم تسليما كثيراً.

ابتلاؤه عليه السلام بحواراته مع إبليس :

بينما عيسى عليه السلام نائما على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به إبليس فقال :

- يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا ؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا .

فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به إليه ثم قال :

- هذا لك مع الدنيا !.

ابتلاؤه عليه السلام باتخاذه وأمه إلهين من دون الله :

صلي عيسى عليه السلام ببيت المقدس فانصرف ، فلما كان ببعض العقبة عرض له إبليس ، فاحتبسه وجعل يعرض عليه ويكلمه .

ثم أكثر عليه وجعل عيسى يحرص على أن يتخلص منه ، فجعل لا يتخلص منه فقال فيما قال له :

- لا ينبغي لك يا عيسى أن تكون عبداً .

فاستغاث عيسى عليه السلام بربه ، فأقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما إبليس كف، فلما استقرا معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل عليه السلام إبليس بجناحه فقذفه في بطن الوادي ، فعاد إبليس إليه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك .

فقال لعيسى عليه السلام :

- قد أخبرتك أنه لا ينبغي أن تكون عبداً ، إن غضبك ليس بغضب عبد ،

وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ولكن أدعوك لأمر هو لك ، آمر الشياطين فيطيعونك ، فإذا رأى البشر أن الشياطين أطاعوك عبدوك ، أما إني لا أقول أن تكون إلهاً ليس معه إلَه ولكن الله يكون إلهاً في السماء وتكون أنت في الأرض .

فلما سمع عيسى عليه السلام ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة ، فإذا إسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف إبليس ، فلما استقر معهم ضرب إسرافيل إبليس بجناحه فصك به عين الشمس ، ثم ضربه ضربة أخرى ، فأقبل إبليس يهوى.

ومر بعيسى وهو بمكانه فقال :

ـ يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً.

فَرُمِي به عين الشمس ، فوجد هناك سبعة ملائكة عند العين الحامية ، فغطوه فجعل كلما صرخ غطوه في تلك الحمأة ، فوالله ما عاد إليه بعد ذلك أبداً .

ثم اجتمع إليه شياطينه فقالوا :

ـ سيدنا لقد لقيت تعباً .

قال :

ـ إن هذا عبد معصوم ليس لي عليه من سبيل ، وسأضل به بشرا كثيراً وأبث فيهم أهواءً مختلفة وأجعلهم شيعاً ويجعلونه وأمه إلهين من دون الله .

ولكن الله ﷻ أنزل في صدر سورة آل عمران آيات يبين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، فقال له كن فكان .

ابتلاؤه عليه السلام بادعاء قومه أنه ابن الله :

عندما رأى بنو إسرائيل قدرة عيسى عليه السلام على إحياء الموتى قالوا :

ـ إنه الله .

ولكن فريقا منهم زعم أنه ابن الله لما رأوا عليه من آيات التقشف والزهد .

فادعوا لله ولداً وما ينبغي له ﷻ أن يتخذ ولداً إذ أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد ؟ فهو الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﷻ .

ابتلاؤه عليه السلام عند ذكر القبور:

قال أبو عمر الضرير :

- بلغني أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً .

وقال وهب بن منبه :

- وقف عيسى عليه السلام هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلي فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه ، فقال لهم عيسى عليه السلام :

- قد كنتم فيما هو أضيق منه في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع .

كان أول ما أحيا عيسى عليه السلام من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة جالسة عند قبر وهي تبكي فقال لها :

- مالك أيتها المرأة ؟

فقالت :

- مات ابن لي لم يكن لي ولدٌ غيره ، وإني عاهدت الله ألا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاق من الموت أو يحيه الله لي فأنظر عليه .

فقال لها عيسى :

- أرأيت إن نظرت إليه أراجعة أنت ؟

قالت :

- نعم .

فقام عيسى عليه السلام فصلي ركعتين ، ثم جاء فجلس عند القبر فنادى :

- يا فلان ، قم بإذن الرحمن فاخرج .

فتحرك القبر ثم نادى الثانية فتصدع القبر بإذن الله ، ثم نادى الثالثة فخرج وهو ينفض من على رأسه التراب ، فقال له عيسى عليه السلام :

- ما أبطأ بك عني ؟

قال :

- لما جاءتني الصيحة الأولى بعث الله لي ملكا فركب خلفي ، ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجعت إليّ روحي ، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي وحاجباي ، وأشفار عيني من مخافة القيامة .

ثم أقبل على أمه فقال لها :

- يا أماه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين؟ يا أماه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا ، يا روح الله وكلمته ، سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون علي كرب الموت .

فدعا عيسى عليه السلام ربه فقبضه إليه واستوت عليه الأرض .

ابتلاؤه عليه السلام بمحبي الدنيا :

كان عيسى عليه السلام يسير ذات يوم ومعه رغيف فقابله رجلٌ وعرض عليه أن يسير معه فوافق عيسى عليه السلام على ذلك ، ووضعا ما كان معهما من أرغفة وكان الرجل معه رغيفان ، فاستكثر أن يضع رغيفان يقتسمهما مع عيسى عليه السلام الذي سيضع رغيفاً واحداً .

فانتظر حتى قام عيسى عليه السلام يصلي ثم أكل الرغيف ، وجاء عيسى عليه السلام فنظر إلى الطعام وقال له :

ـ أين الرغيف الثالث ؟

فقال الرجل :

ـ والله ما كانا إلا رغيفين فقط يا رسول الله .

فسكت عيسى عليه السلام ثم سارا معاً فاعترض طريقهما نهر ، فأخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل وسارا على الماء ، فلما عبراه قال له عيسى عليه السلام :

ـ بحق الذي أراك هذه الآية ، من أكل الرغيف الثالث ؟

فقال له الرجل :

ـ والله ما كانا إلا رغيفين فقط يا رسول الله .

فسكت عيسى عليه السلام ، ثم سارا معاً فرأيا غزالا ، فاصطاداه وشوياه وأكلاه ، ثم مسح عيسى عليه السلام عليه ودعا ربه ، فهب الغزال واقفا وراح يجري هنا وهناك.

فقال عيسى عليه السلام :

ـ بحق الذي أراك هذه الآية ، من أكل الرغيف الثالث ؟

فقال له الرجل :

ـ والله ما كانا إلا رغيفين فقط يا رسول الله .

فسكت عيسى عليه السلام ، ثم سارا معاً فرأيا ثلاثة جبال من رمل ، فقام عيسى عليه السلام فصلي ودعا ربه ، **فتحولت إلى ثلاثة جبال من ذهب** .

فقال للرجل :

ـ بحق الذي أراك هذه الآية ، من أكل الرغيف الثالث ؟

فقال له الرجل :

ـ والله ما كانا إلا رغيفين فقط يا رسول الله .

فقال له روح الله وكلمته ﷺ :

ـ إذن جبلٌ لك ، وجبلٌ لي ، وجبل لصاحب الرغيف الثالث .

فرد الرجل من فوره :

ـ أنا من أكل الرغيف الثالث يا رسول الله.

فنظر إليه عيسى ﷺ ثم قال :

ـ إذن كلها لك ، ولكن هذا فراق بيني وبينك .

ثم تركه عيسى ﷺ وانصرف .

وجلس الرجل بجوار الجبال الثلاثة، فمر عليه رجلان فراودوه عن الجبال فلم يرتض ، حتىأذعن لهم وارتضى أن يكون لكل منهم جبل من هؤلاء .

ثم جاع القوم ، فذهب الرجل الأول ليحضر لهم الطعام ، ووضع لهما فيه السم لكي يتخلص منهما .

وفي نفس الوقت اتفق الرجلان على أن يخلصا إليه عند مجيئه فيقتلاه لتخلوا لهما جبال الذهب.

فعندما عاد إليهما بالطعام ، هجما عليه وقتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا بسمه وعندما رجع عيسى ﷺ رأى في طريق عودته ثلاثة رجال قتلى بجوار جبال الذهب فنظر إليهم ثم قال :

ـ هكذا تفعل الدنيا بأصحابها .

ابتلاؤه عليه السلام برفعه إلى السماء:

توعد بعض اليهود لعيسى ﷺ وأرادوا أذيته ، فوشوا به عند بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان .

فأراد الله ﷻ أن يرفعه إليه ، فخرج عيسى ﷺ على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين ، فخرج عليهم ورأسه يقطر ماءً فقال :

ـ إن منكم من يكفر بي اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بي .

ثم قال :

ـ أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي في الجنة؟

فقام شاب من أحدثهم سنا ، فقال له :

ـ اجلس .

ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال :

ـ أنا .

فقال له روح الله وكلمته عليه السلام :

ـ أنت هو ذاك .

فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام ، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء . وجاء اليهود فأخذوا الشاب فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة :

ـ كان الله فينا ما شاء ثم صعد على السماء .

وهؤلاء اليعقوبية .

وقالت فرقة :

ـ كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه .

وهؤلاء النسطورية .

وقالت فرقة :

ـ كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه .

وهؤلاء المسلمون .

فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلي الله عليه أفضل صلاة وأتم تسليم .

فذلك قوله ﷻ :﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾ [سورة الصف الآية :١٤] .

ابتلاؤه عليه السلام بنزوله آخر الزمان وقتل المسيخ الدجال :

تنبأ رسولنا الكريم محمد ﷺ أن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، فيقتل الخنزير ـ أي يحرم أكله ـ ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا بالإسلام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ،**

فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية فبينا هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال ، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم ، فإذا رآه عدو الله ـ المسيح الدجال ـ ذاب كما يذوب الملح ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ـ أي بيد عيسى عليه السلام ـ فيريهم دمه في حربته .

ثم يصلي عيسى عليه السلام خلف المهدي المنتظر .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟**

كما أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله عز وجل .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : **دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال لي : ما يبكيك؟ ، قلت : يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت ، فقال رسول الله ﷺ : إن يخرج وأنا حي كفيتكموه ، وإن يخرج الدجال بعدي ، فإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، إنه يخرج في يهودية أصبهان ، حتى يأتي المدينة فينزل ناصيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان ، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .**

* * *

محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾
[سورة المسد :الآيات ١-٥]

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الإسراء الآية: ١].

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾
[سورة البقرة الآية: ١٤٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
[سورة النور الآية : ١١]

* * *

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهرة بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن مقوم بن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن بحير بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم .

وله ﷺ أسماء عديدة ، ابتلي في جميع مراحل عمره بجميع الابتلاءات في مولده بمكة ومهاجَره بيثرب وفي طريقه بين البلدين ، وكان أشد ما لاقاه حبيب الرحمن ﷺ على يد أهله في مكة إذ كذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بلده ﷺ .

وكلما كثر ابتلاؤه عليه الصلاة والسلام زادت مكانته عند ربه وزاد حبه له فقد قال ﷺ : **اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وموسى نجيا ، واتخذني حبيبا ، ثم قال : وعزتي وجلالي**

لأوثرن حبيي على خليلي ونجيي (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة).

وسنذكر هنا بعض الابتلاءات التي تعرض لها رسول الله ﷺ بمكة ويثرب . والله ولي التوفيق .

ابتلاؤه عليه السلام بإيذاء عبد العزى وزوجته أم جميل :

استيقظت أم جميل وزوجها عبد العزى على صوت أبي القاسم ﷺ فقالت لأبي لهب:

ـ من صاحب هذا الصوت الذي يدعو الناس في هذا الصباح؟ وماذا يريد ؟

كان أبو لهب يحاول أن ينزع جفونه من أشواك النوم لقد ظل ساهراً طوال الليل مع رفقائه يلعبون الميسر ويشربون الخمر حتى تنفس الصباح .

قال أبو لهب لامرأته :

ـ قبحت من امرأة ما شأني بمن يصيح في هذه الساعة من الصباح ؟

ولكن صوت رسول الله ﷺ ترامى إليهما :

ـ يا معشر قريش لوأخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير- تهجم - عليكم أصدقتموني ؟

إن أبا لهب يعرف هذا الصوت .. إنه ليس غريبا على أذنيه .. وقطب بين حاجبيه وشحذ ذهنه الذي ما زالت الخمر تناوشه ، إن الناس يقولون :

ـ ما جربنا عليك كذباً قط .

ثم هتف أبو لهب :

ـ هذا محمد ابن أخي ماذا يريد ؟ لابد أنه يدعونا لأمر .

قالت أم جميل :

ـ لعل فيه مالا نصيبه من وراء ذلك .

انطلق عبد العزى إلى جبل الصفا فجاءه صوت محمد ﷺ يقول :

ـ يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، يا صفية بنت عبد المطلب عمة محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئا ، ولا أملك لكم من الدنيا والآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا : لا إلَه إلا الله ، لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم مني .

شعر أبو لهب بخيبة أمل ألهذا جمعهم محمد ؟ لقد ظنوا أن محمداً ﷺ جمعهم من أجل مال سوف يعود عليهم .

بل جاء ليدعوهم إلى أمر فيه وعيد وتهديد ؟ وثار صدر أبي لهب بالأحقاد فهتف في ضيق :

ـ تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟

ثم أشار بيده :

ـ تفرقوا أيها الناس .

فتفرق الناس عنه ﷺ .

* * *

أخذت أم جميل تضع الحطب والشوك أمام بيت رسول الله ﷺ وفي طريقه. وذاع في مكة سورة المسد .

فلما سمعها عبد العزى بن عبد المطلب جن جنونه وثارت ثائرته ، وتساءل أبو لهب :

ـ ابن أخي يبشرني بعذاب النار ؟

ثم ضحك ساخراً وأردف :

ـ أيظن أننا نصدق ما يقول عن الجنة والنار؟ ، إنَّا لا نصدق أن هناك بعثاً إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

وقالت أم جميل :

ـ يزعم محمد أن شريفة قريش ـ تقصد نفسها ـ تحمل الحطب وأن حبلا من النار سيطوق عنقي ؟ ويلٌ لك مني يا مذمم ـ تحريف محمد استهزاء منهم به ﷺ ـ ثم انطلقت إلى الكعبة يحملها جناحان من الغضب والغي ، وحملت في يدها حجراً ، فرآها أبو بكر الذي كان يجلس بجوار رسول الله ﷺ ، فلما رآها مقبلة نحوهما قال :

ـ يا نبي الله هذه أم جميل بنت حرب قادمة نحونا ، إنها امرأة بذيئة اللسان ، فلو قمت فوالله لتؤذينك .

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

ـ **إنها لن تراني .**

وأقبلت العوراء فقالت :

ـ يا أبا بكر صاحبك هجاني .

فرد عليها أبو بكر قائلا :

ـ ورب الكعبة ما هجاك .

كان يقسم صادقاً فما هجاها رسول الله ﷺ إنما هجاها الله ﷻ هي وزوجها من **فوق سبع سموات في قرآن يبشرها بنار جهنم .**

فقالت أم جميل :

ـ أنشد في شعراً .

قال أبو بكر :

ـ والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر .

فقالت العوراء :

ـ والثواقب إنه لشاعر وإني لشاعرة وسوف أهجوه :

محمد قلينـــا . . . ودينه أبينـــا

وأمره عصينـــا

وانصرفت أم جميل إلى بيت أخيها أبي سفيان بن حرب .

فقال أبو بكر :

ـ يا رسول الله إنها كانت تحمل حجراً وتريدك .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

ـ جعل الله بينى وبينها حجاباً ، حال بيني وبينها جبريل عليه السلام .

ابتلاؤه عليه السلام بوفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها :

ماتت خديجة رضي الله عنها وأبو طالب في عام واحد فسمي بعام الحزن ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بموت خديجة حيث أنها كانت وزير صدق له في الإسلام ، يشكو إليها فتخفف عنه ، ويأمرها فتطيعه ، ويميل إليها فتحنو عليه .

كما تتابعت المصائب عليه ﷺ بهلاك عمه أبو طالب ، حيث كان عضدا له في أمره ، ومنعة ونصرة له على قومه ، وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه ابنته فاطمة فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : **لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك** . ثم يقول بين ذلك : **ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب** .

ابتلاؤه عليه السلام بتحويل القبلة :

لما صرفت القبلة من الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس ، وقردم

ابن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو ، وحليف كعب بن الأشراف ، والربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقالوا :

ـ يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك .

وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأنزل الله تعالي فيهم : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[سورة البقرة الآية: ١٤٢] .

وكان هذا ابتلاء من الله ﷻ لرسوله والمؤمنين ليرى من منهم سيثبت على إيمانه وتصديقه لنبيه ﷺ ، ومن سيتبع القبلة الجديدة معه ، ومن سينكر ذلك ويتركه .

ابتلاؤه صلى الله عليه وسلم بحادثة الإفك في عائشة رضي الله عنها :

كان رسول الله ﷺ **إذا أراد أن يخرج في سفر أو غزوة أقرع ـ أجرى قرعة ـ بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها .**

وعلم رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون الجموع لقتاله بقيادة سيدهم الحارث بن أبي ضرار ، فقرر رسول الله ﷺ أن يباغتهم ويبادرهم بالهجوم قبل أن يباغتوا مدينة رسول الله ﷺ ، فأقرع بين نسائه فخرج سهم عائشة فركبت هودجها ـ مكان للنساء على ظهر الإبل ـ وخرجت معه ولقي أصحاب رسول الله ﷺ جيش بني المصطلق على ماءٍ لهم يسمى **المريسيع** ، فكان قتال انتهي بهزيمة بني المصطلق وسيقت نساؤهم سبايا .

وعاد رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة فلما كانوا على مقربة منها نزلوا للراحة وقامت عائشة حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت جيش المسلمين فلما قضت حاجتها أقبلت إلى هودجها ، فلمست صدرها فإذا عقد لها من خرز يماني قد انقطع فرجعت فإذا به قد انسل منها فحبسها التماسه ـ طلبه ـ هنيهة ثم عادت إلى مكان هودجها فإذا الذين يحملون رحلها قد احتملوا هودجها على بعيرها التي كانت تركب وهم يحسبون أنها فيه فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج .

فاحتملوه وكانت عائشة جارية حديثة السن وتهيبوا أن ينادوها أو يستوثقوا من وجودها في الهودج ، وساروا به .

وعثرت عائشة على عقدها المفقود فجاءت منزلها فلم تجد فيه أحداً فأقامت حيث هي ، وظنت أن أصحاب رسول الله ﷺ عندما يكتشفون غيابها

سيرجعون إليها . وبينما هي جالسة غلبتها عيناها فنامت .

وكان صفوان بن المعطل من وراء جيش المسلمين يتخلف عنه ليلتقط ما سقط من المتاع ، فلما أصبح صفوان بن المعطل عند منزل عائشة رأى سواد إنسان نائم فأتاها وكان يراها قبل الحجاب فاستيقظت فجعل يسترجع ويعيد كأنه ينبهها بالاسترجاع :

- **إنا لله وإنا إليه راجعون.**

كان صفوان يتهيب أن يتحدث إلى أم المؤمنين عائشة ، فقرب بعيره منها ثم قال :

- أمة قومي فاركبي .

فركبت عائشة وأخذ صفوان بن المعطل بزمام البعير يقوده .

ولما بلغ جيش رسول الله ﷺ في مطلع الصبح واقتيد بعير عائشة إلى مناخه أمام بيتها وأنزل الهودج في رفق **فإذا عائشة ليست فيه** .

وظل رسول الله ﷺ وأصحابه ساعة من نهار حائرين وانطلق بعض أصحاب رسول الله ﷺ في الطريق يلتمسون بنت أبي بكر ، وأقبل بعير صفوان بن معطل ...

واطمأن أبو القاسم ﷺ عندما وجد عائشة بخير وسمع حديثها وسبب تخلفها فما أنكر منه شيئا .

ثم اشتكت عائشة رضي الله عنها - مرضت - ووجدها عبد الله بن أبيّ بن سلول **رأس المنافقين فرصة** ، فراح يفح في كل مجلس :

- والله ما نجت منه - يعنى صفوان بن معطل - ولا نجا منها - عائشة - وردد ناس من المسلمين ومنهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ومسطح بن أثاثة قريب أبي بكر ، وحمنة بنت جحش حديث رأس المنافقين .

ولما سمع صفوان بن المعطل قول حسان بن ثابت في الإفك ، جاء فضربه ضربة بالسيف على رأسه وقال :

تلق ذباب السيف عنى فإننى ... غلام إذا هوجيت ليس بشاعر

فأخذه جماعة حسان ولببوه وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ ، فأهدر النبي ﷺ جرح حسان واستوهبه إياه .

وبلغ الحديث المسموم سمع رسول الله ﷺ كما بلغ أذن الصديق ، فصكها صكاً ، ولكن أحداً لم يستطع أن يواجه عائشة بالشائعة الرهيبة .

تقول عائشة بنت أبي بكر :

ـ وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من وجعي غير أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله ﷺ ويقول : « **كيف تيكم** » ثم ينصرف فذاك الذي يريبنى ولا أشعر ، حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا ، وذلك قبل أن نتخذ الكنيف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنيف نتخذها عند بيوتنا ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت :

ـ تعس مسطح .

فقالت عائشة :

ـ أتسبين رجلا شهد بدراً ؟

قالت أم مسطح :

ـ أي هنتاه .. أولم تسمعي ما قال ؟

قالت عائشة :

ـ وما قال ؟

فأخبرت عائشة بقول أهل الإفك .

تقول عائشة :

ـ فازددت مرضا على مرضي .

ولما رجعت بنت أبي بكر إلى بيتها ودخل عليها رسول الله ﷺ قال :

ـ كيف تيكم ؟

فقالت عائشة :

ـ أتأذن لي أن آتي أبواي ؟

وكانت حينئذ تريد أن تستيقن الخبر من قبل أمها وأبيها .

فأذن النبي ﷺ لعائشة ، فجاءت أبويها فقالت :

ـ يا أماه ما يتحدث الناس ؟

قالت أم رومان :

ـ يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها

ضرائر إلا كثر عليها .
فقالت عائشة :
ـ سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا !
تقول عائشة :
ـ وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرفأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين تأخر عليه الوحي يستأمرهما في فراق أهله .
فأشار أسامة بن زيد على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ـ عائشة ـ وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال :
ـ يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً
أما عليّ بن أبي طالب فقال :
ـ يا رسول الله لم يضيق عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية ـ بريرة خادمة عائشة ـ تصدقك .
فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال :
ـ أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟
قالت بريرة :
ـ لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه ـ استصغره ـ عليها غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن ـ طيور المنزل ـ فتأكله .
فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبيّ بن سلول فقال وهو على المنبر :
ـ **يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاـ صفوان بن المعطل ـ ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي**
(أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة) .
فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال :
ـ يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فاحتملته الحمية فقال :

ـ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر علي قتله .

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة :

ـ كذبت لعمر الله فإنك منافق تجادل عن المنافقين .

فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت .

تقول عائشة :

ـ فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح أبواى عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ، ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي .

فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى مذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني .

فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال :

ـ **أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت ذنبا فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه** . (رواه البخاري ومسلم عن عائشة).

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمع عائشة حتى ما أحست منه قطرة ، ثم قالت لأبيها : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال .

فقال أبو بكر :

ـ والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، وما أعلم من أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليّ ؟ والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الإسلام ؟

فقالت عائشة لأمها أم رومان :

ـ أجيبى عني رسول الله ﷺ .

فقالت أم عائشة :

ـ ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

فقالت عائشة :

ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقول كثيراً من القرآن ـ لا أقرأ كثيرا من القرآن ـ إني والله لقد علمت ولقد سمعت عن هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقوني ، والله لا أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية: ١٨] .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشها وهي حينئذ أعلم أنها بريئة وأن الله سيبرئها .

تقول عائشة :

ـ ولكني والله ما كنت أظن أن الله منزلٌ في شأني وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يري رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئنى الله بها .

فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ينحدر منه مثل الجمان ـ اللؤلؤ ـ من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه ، فلما سري عن رسول الله ﷺ ، سري عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال :

ـ **أبشري يا عائشة أما الله ﷻ قد برأك** (أخرجه البخاري عن عائشة).

فقالت أم رومان في فرح لابنتها عائشة :

ـ قومي إليه .

فقالت عائشة :

ـ والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ﷻ

وأنزل العلي الحكيم فيها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة النور الآية: ١١]

لقد برأها السميع البصير من فوق سبع سموات وفرج بذلك كربا من الكروب التى تعرض لها خاتم الأنبياء ﷺ .

* * *

المراجع

* القرآن العظيم .
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير .
* البداية والنهاية — ابن كثير .
* قصص الأنبياء — ابن كثير .
* كنز العمــــال — الهندي .
* صحيح البخــاري .
* صحيح مسلـــم .
* المسند — الإمام أحمد .
* جامع الأحكام — الترمذي .
* الروض الأنف — السهيلي .
* السيرة الحلبية — علي بن برهام الحلبي .
* المعجم الكبير — الطبراني .
* السيرة النبوية — ابن هشام

الفهـــرس